بين الحقيقة والخيال

الجزء الأول

تأليف: أحمد موسى صالح الفسفوس

١٩٩٥ - الزرقاء / الأردن

رقم الايداع لدى دائرة المكتبة الوطنية
(١٩٩٥/١/٦٨)

رقم التصنيف : ٨١٤
المؤلف ومن هو في حكمه : احمد موسى صالح الفسفوس
عنوان المصنف : بين الحقيقة والخيال
رؤوس الموضوعات : ١ – المقالات الادبية
٢ –
رقم الايداع : (١٩٩٥/١/٦٨)
الملاحظات :

* – تم اعداد بيانات الفهرسة الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية



دار الادريسي للطباعة والتجارة والدراسات والابحاث والاستشارات

الإهـــداء

عـتب علي الكثيـرمن أصدقـائي وهم كـثـر لأني نـسيت أن أشكرهم وأهدي إليـهم كـتـبي السـابقـة فـعز عليّ ذلك كـثيـراً ، لأن الصديق الوفي لا يقدر بثمن .

ولذا فإني أهدي كتابي هذا : (بين الحقيقة والخيال)الكل من قدم شيئاً نافـعـاً لأمـتـه وانسانيتـه ووقف معي لإنجاز مشروعي هذا ، ولهم مني كل الشكر والعرفان والتقدير .

المؤلـــف

أحمد موسى صالح الفسفوس

ملاحظة : أ) طلبت مني شركة عالية الاردنية للطيران ترجمته على نافل للغة الانجليزية لتوزيعه على متن شركتهم و بالمطارات الملكية حالت دون ذلك

ب) وجدت كثيرة من المدارس يقرؤون مقالاته خاصة الرمزية عبر الاذاعة المدرسية .

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم الدكتور / عبدالفتاح عمرو

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد :

فأن من أعظم الاوقات نفعاً وأكثرها متعة ذلك الوقت الذي يمضيه صاحبه في طلب الحق ، ومما لا شك فيه أن تنقيح اخبار التراث وتنقية المعلومات التاريخية من كل شائبة يقدر عليها الباحث ويصل إليها علمه هو من قبيل طلب الحق الذي ثياب عليه المرء اجزل الثواب.

ولقد حاول باحثنا الاستاذ أحمد موسى صالح الفسفوس مشكوراً أن يدلي بدلوه في هذا الجبِّ العميق من علم الانساب ، وبذل جهده في جمع المادة العلمية من مظانها ولعل اجمل ما في عمله أنه تبتع الحوادث وسار وراءها جاهداً يطلبها من اصحابها ، وينشدها في عقر دارها ، ممن عايشوها وشاهدوها أو سمعوا بها مباشرة رغم بعد الشقه وقلة الزاد وهذا بحد ذاته عمل عظيم يستحق عليه الثناء وهو في النتيجة تاريخ لما اهمله التاريخ ، وله اعظم الاثر في كشف الحق عند محاكمة النصوص وتدقيق الحادثات خاصة في موضوع الانساب واخبار القبائل .

وهذا ما رأينا واضحاً جلياً في كتاب المؤلف أحمد الفسفوس " قبائل بني قيس " فلقد كان الباحث فيه محايداً تماماً في طرح المعلومات واسنادها الى اصحابها . وحسبه بذلك امانة علمية واخلاصاً في البحث ، لأن من اسند القول الى قائله فقد برأ ذمته ووفّى بعهدته وأدى ما عليه .

ومع أن البحث في موضوع الانساب وذكر القبائل بحسناتها وسيئاتها يثير في النفوس ما يثيره من تحامل على الباحث وسخط عليه إلا أن باحثنا هذا لم يترك مجالاً لمثل هذه الاحقاد أو تلك الاثارات بل استطاع ان ينجو من عواقبها ويسلم من غوائلها باسناد الحكايات الى اصحابها وبحياده وعدم انحيازه .

وكذلك كان الحال في كتابه الثاني " قبائل بني قيس " الجزء الثاني وما تبعه بعد ذلك من اصدارات وتأليف ومنها كتابه " قبائلنا " الجزء الاول .

ولا ينقص من قدر الباحث أو يقلل من شأن عمله أن يقال : ان هذه الكتب التي صدرت حتى الآن للمؤلف تحتاج إلى تمحيص تاريخي وتدقيق علمي في الوقائع المذكوره والحوادث التي سردها دون تعليق منه عليها .

ولقد ناقشته حول ذلك فكان رأيه صائباً وهو أن هذه الكتب التي يصدرها بتتابع دون كلل أو ملل هي كتب ميدانية وأبحاث نشطة يسارع المؤلف الى نشرها كي يتفاعل معها الناس والمهتمون ويشاركوه ويساهموا معه في احيائها وسيكون تعليقه وحكمه عليها أخيراً عندما يصل الى حد معقول من القناعة أنها صحيحة ما أمكن .

وانني أسأل الله تعالى أن يوفقه ويمد في عمره ليكمل هذا العمل على الوجه الذي يخدم فيه الحق وينير له الطريق الى البحث الصادق غير المنحاز في هذا الموضوع الحساس .

ولا يفوتني في هذا المقام ان اشهد لحقيقة ما عاناه المؤلف أحمد الفسفوس من جهد ومشقة في جمع مادته العلمية وتأليفها والإشراف على طباعتها ومتابعة توزيع مؤلفاته ونشرها مما جعلني اعتبره مثلاً ونموذجاً في المثابرة وعدم اليأس رغم كل المحيطات والمؤثرات السلبية التي تكتنف عملية التأليف في هذه الايام . وكم كان يكبر في عيني وهو يحمل حقيبة كتبه ويسير على قدميه متنقلاً من مكتب الى مكتب ومن استاذ الى آخر في شمال المملكة وجنوبها ويقابل الشيوخ ووجهاء الناس بحثاً عن معلومة أو تثبتاً من خبر ، رغم مشاغله الأسرية وهمومه الواقعية في حقل التدريس .

جزى الله الباحث أحمد الفسفوس خير الجزاء وقوى من عزيمته وهمته حتى يتمكن من خدمة هذا التراث في جانب من جوانبه الهامة في مجال الانساب واخبار القبائل العربية وآخر دعوانا ان الحمد لله رب العالمين .

الدكتور عبد الفتاح عايش عمرو

مفتش المحاكم الشرعية

عمان في ٩٤/٦/٢٧

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة وقصيدة الشاعر فوزي العابد

أشكر الله والأيام التي جمعتني بالأخ الغالي الكاتب والمؤرخ أحمد الفسفوس .

ولقد نمت هذه الصداقة الى علاقة اخوية يسودها الإعجاب بكتاباته عن العشائر والقبائل العربية . وباطلاعي المتواضع على بعض مؤلفاته لمست بها قوة التأليف ودقته وسعة إطلاعه وموضوعيته بكل ما يكتب . سائلاً الله العلي القدير له التوفيق والنجاح ليحقق كل ما يصبو اليه من آمال وأهداف .

ولا يسعني كشاعر إلاّ أن أهديك هذه القصيدة الشعرية علني أعبر فيها عما يجول بخاطري من إعجاب وتقدير آملاً أن أفيك بعض حقك مع حبي واعتزازي بشخصكم الكريم .

أخوكم

الشاعر فوزي العابد

مدير مدرسة عوجان الثانوية

١٩٩٤/٧/٢م

" إلى الفسفوس اهدي "

نظمت الشعر عقداً أي عقد … وجئت به إلى الفسفوس أهدي

أديب سطر التاريخ سفراً … إلى الأجيال من مهد للحد

وأرخ للعشائر والبوادي … وقدم كل ما للناس يجدي

له كتب سمت ومؤلفات … أتت للناس من فكر وجهد

فمنها عن بنى قيس كتاب … حوى طيباً ، شذى زهر وورد

وسوق عكاظ آلفه فأبلى … كبرق جاء متبوعاً برعد

وفي التاريخ كان له جذور … تناقلها لسان أبي وجدي

ومخطوطاته في الركن تهوى … تناشد دعمكم يا أهل رفد

جفاك النوم تكتب للبرايا … فكم عانيت من سهر وسهد

وجدت رصيد صحبك في ازدياد … من الأدباء لا يحصيه عدي

فأني قد عهدتك من قديم … ولست أنا الذي يهواك وحدي

فيا فسفوس سر ، أرخ وسجل … إلى الأجيال من قبلي وبعدي

وللتاريخ وثق كل قول … وقدم سمن جهدك فوق شهد

وعدت بأن أفي في الشعر وعداً … فجئت أبر للفسفوس وعدي

عهدتك أحمد الفسفوس بحراً … من الأخوان تقبل كل نقد

تؤلف في ظلام الليل تعطى … فكم عانيت من حر وبرد

وتكتب في روائعك الأماني … عن الأردن ، عن شام ونجد

ومن لا يقرأ التاريخ يغدو … بدنيانا جبين الدهر يندي

ففوزي شاعر الزرقاء إني … الى الفسفوس أهدي جل ودي

قبائلنا به قيم تجلت … وعاطفة الحنان وطيب حمد

١٩٩٤/٩/٢٤ م

رسـالة إلى المؤلف

بقلم : سليمان المشيني

أخي الزميل الاستاذ الاديب المؤلف أحمد موسى الفسفوس حياك الله أبارك دأبك العظيم وحرصك على تأليف وصياغة هذه المؤلفات التاريخية الثقافية الرائعة التي تنشرها تباعاً والتي إن دلت على شيء فإنما تدل على باع طويل في العلم والمعرفة وسعة الإطلاع والتفاني من أجل إثراء المكتبة الاردنية والعربية بهذه التحف الفكرية التي تضع النقاط على الحروف في قضايا تاريخية وأدبية على جانب كبير من الأهمية لنا وللأجيال الصاعدة فألف تحية لها تيك الجهود التي تجسد قول الشاعر

وإذا كانـــت النفـــوس كبـــاراً

تعبـــت فـــي مرادهـــا الأجسام

أخي أحمد

عجيب هذا الحرف،هذا الحرف الذي إذا رسمته على الورق بدا لا شيء، جامداً بارداً وأصم أبكم لا يرتجى لخير او لشر إلا أنه ما أن يتصل بحرفين أو أكثر من باقي حروف الهجاء، حتى تغدو الحروف كلمة تمور بالكثير من معاني الحياة وألوانها ، وما أن تتزاوج الكلمات حتى تصبح عوالم شاسعات وزاخرات بشتى الأحاسيس والأفكار والتخيلات التي لولاها لما كانت الحياة حياة ! وهذه جميعها تنقل بخفه الظل ولطافة النور من فكر إلى فكر ومن قلب الى قلب تاركة خلفها آثاراً متفاوته ..

حقاً إن سحر الحرف يفوق كل سحر

وسحر التاريخ يفوق كل سحر

سحر يتجدد أبداً

ففي قراءة التاريخ ومواكبة حضارة الانسان وما تحمله السطور من كنوز المعرفة والحكمة والعظة والتجربة والخطأ والصواب ، إن هي الا ثروة أي ثروة للروح وليس ثمة شيء من الكسب المادي يعادل ذرة من البهجة الروحية لأن الأول ترابي ولان الثاني سماوي ...

وبعد ، فالتاريخ هو سفر الحياة وسجل الزمن وتوقيت الصلاح والخطأ اللذين مرا على الأرض

سجل حافل بالفلسفة والتجارب فقد امتد في الآفاق وامتد في الأعماق فجاء من كل أفق وجاء من كل عمق بأروع وأعظم وأرقى ما يجيء به الفلاسفة والمفكرون والعلماء والأدباء.

يقول الفيلسوف العالمي إيمرسون

طالب علم التاريخ حي ابدا ومن يحفظ التاريخ فإنه ينفع به كثيراً فهو دليل العقل والعقل قائد الخير والذي يقتبس من التاريخ يكون كالسراج من مر به اقتبس منه .

وقال حكيم عربي

تعلموا التاريخ فإنكم إن تكونوا صغار قوم فعسى أن تكونوا كبارا وإن تكونوا كباراً فعسى أن تكونوا علماء .

والتاريخ أولاً وقبل كل شيء هو ينبوع الحكمة وقيد العلوم يفيدك علم الأولين ويخبرك عن أنباء المتأخرين وهو خير جليس ورفيق لا يملك وكلما أطلت النظر إليه أغنى مخيلتك ومنحك بعد النظر والحكمة ولسنا ننسى بهذا الصدد القول المأثور إبحث عن المعرفة لأن المعرفة لا تبحث عنك والمعرفة كل المعرفة في قراءة التاريخ وحسبها أنها تعلم الانسان حقيقة التطور للمعارف الانسانية أحييك يا أخي مرة ثانية وثالثة فإلى الأمام وفقك الله وأخذ بيدك .

أخوكم

سليمان المشيني

اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

قصيدة الشاعر الصديق العزيز السيد أحمد العبويني

الامارات العربية المتحدة

١٩٩٤/٧/٢١م

لا يسعني وأنا أزداد قرباً من مؤرخنا الأديب إلا أن أنوه بما في هذا الكتاب من إضفاءة قيمة هي منتقاة في عالم التاريخ حتى تكون معلوماته جد مرضية ، وأنا أصفه سفراً وكنزاً بل (بنك المعلومات) في هذا الوقت العصيب التي تتضارب فيه المعلومات ، فهنيئاً للسيد أحمد موسى الفسفوس على هذا الناموس ..

وكانت لي هذه القصيدة في مؤلفه الأخير :

من دار موسى جادت الأشعار　　وتسابقـت فـي أهلهـا الأخبار

عبوين الهمها الإله نضـارة　　سحويـل فيهـا مؤئـل ومنـار

مذ نصف قرن والكمال يشدها　　في القلعة الكبرى الحماس يثار

كل القبائل حولها قد سارعوا　　ليباركوا ويهنئـوا قـد سـاروا

سحويل يبقى عزمها وزعيمها　　وبنوه مفخـرة هـم الأبـرار

كم يشكروا من كان في عليائه　　يعلو بـه التاريـخ والايثـار

مثل ابن موسى احمد ببهائـه　　بكتابـة فيهـا القلـوب تدار

وكتابـه هذا يفيـض براعـة　　هـذا قبائلنـا لـه الأنظـار

فيـه الدلائـل والبراهين التي　　فيهـا الوضـوح وحكمة وقرار

أرسى بها الفسفوس كل جدارة　　هـي منعـة للحـق وهو جدار

من الباحث ومؤرخ العشائر الشيخ أحمد ابو خوصه

إلى صديقه العزيز ، وزميله الكريم الكاتب والمؤلف الاستاذ أحمد الفسفوس

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته اما بعد :-

فلقد تلقيت بالشكر كتابكم القيم " بلادنا سوق عكاظ أبدية " وأنني إذ انوه بالجهد الكبير الذي بذلتموه ، في تأليف هذا الكتاب القيم الذي يضم بين دفتيه ، ابحاث مهمة جداً. تهم الوطن وتحترم المواطن ، وبخاصة ابناءنا من طالبي العلم والمعرفة والباحثين عن الحق والحقيقة .

لقد كتب العديد من الكتاب الاعاجم ، عن تاريخ أمتنا العربية ، وعشائرنا البدوية من المحيط الى الخليج فعاثوا في الأرض فساداً ، بدسهم السم في الدسم ، وركزوا علي صغائر الامور ، وتركوا ما ينفع الناس مغموراً للناس ، ولعبت هذه الكتابات دورها الفاعل في التحريف وتزوير التاريخ العربي المشرف العظيم ، وذلك بالتلويح والتلميح والتحريف ، وذكر بعض الحقائق التي يراد بها الباطل .

كل ذلك في غياب الاقلام العربية الواعية ، وتعثر النهضة الثقافية ، وابتعادها عن الثقافة العربية الأصيلة ، وشعرها العربي العظيم ، المتمثل في سوق عكاظ العظيم ، الذي هو أحد أعظم اسواق عرب الجاهلية وسمي بهذا الاسم ، لأن عرب الجاهلية ، كانوا يتعاكظون فيه أي يتجادلون ويتفاخرون من رجال ونساء على حد سواء . فالشاعر الذي كان يريد أن يظهر قبيلته وعشيرته يذهب الى هذا السوق ، لأنه ساحة الخطابة في جزيرتهم العربية ، ومنابرها ظهور الابل .

ولكن ظهرت ملامح النهضة العربية الحديثة ، بعد أن وضعت الحرب العالمية الاولى أوزارها وانتهى حكم باشا السفاح التركي وزمرته الحاقدة على العرب والعروبة والاسلام والمسلمين ، وما تركه من اثر سيء ، في نفوس العرب بعد أن علق أحرارهم على أعواد المشانق بدأ العرب يتنفسون الصعداء ويعبرون عن انتمائهم لوطنهم العربي وقوميتهم العربية ووحدتهم الاسلامية ، باشعارهم ، فانطلق الشعراء من عقالهم ، وانطلق الكتاب والمؤرخون ، يؤرخون لهذه الامه العظيمة تاريخها العظيم ومجدها التليد ، فبرزت أقلام شابة أخذت على

عاتقها ، محاولة تصويب ما شوهه الاستعمار في اتحاد الكتاب وفي رابطة الكتاب ، ومن هؤلاء الاخوة والزملاء الاستاذ احمد الفسفوس الذي اخذ على عاتقه تصويب هذا الخلل فإلى الامام يا أبا محمد ، وإلى الامام ايها الزملاء الكتاب والادباء في وطننا العربي الكبير ، فالجهاد بالكلمة ، لا تقل اهمية عن الجهاد بالسيف قديماً والآن لا تقل أهمية عن البندقية ، لا بل عن الصاروخ والقذيفة التي لا تخطىء الهدف .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

أخوكم

الشيخ أحمد ابو خوصه

عضو اتحاد الكتاب والادباء الاردنيين

الزرقاء عوجان الجنوبي

١٩٩٤/٧/٢٠ م

﴿ بسم الله الرحمن الرحيم ﴾

الجامعة الأردنية

THE UNIVERSITY OF JORDAN

AMMAN - JORDAN عمان - الاردن

المكتبة

الرقم ٩/٣/٣/ ١٦٣١

التاريخ ١٤١٥/١/١٩ هـ

الموافق ١٩٩٤/٦/٢٨ م .

السيد أحمد صالح الفسفوس المحترم

ص.ب (٥٤٧٥)

الزرقاء / الاردن

تحية طيبة ، وبعد ،

فيسرني أن أعلمكم بأن مكتبة الجامعة الاردنية قد تسلمت بمزيد من الشكر والتقدير نسخة واحدة من مؤلفكم :

" بلادنا سوق عكاظ اهدية "

هدية كريمة منكم .

انتهز هذه الفرصة لاعرب لكم عن خالص الشكر والتقدير على هذه الهدية القيمة ، وعلى اهتمامكم بالمكتبة .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

القائم بأعمال مدير المكتبة

الدكتور صلاح جرار

بسم الله الرحمن الرحيم

جامعة آل البيت

AL al - BAYT UNIVERSITY

الرقم : ٢/٨

التاريخ : ١٥ / محرم / ١٤١٥ هـ

الموافق : ١٩٩٤/٦/٢٥م .

السيد أحمد موسى صالح الفسفوس المحترم

ص.ب ٥٤٧٥ الزرقاء

تحية طيبة ، وبعد ،

فأشير إلى كتابكم المؤرخ ١٩٩٤/٦/١٨ ويسرني إعلامكم بتسلمنا نسخة من كتابكم " بلادنا سوق عكاظ أبدية " ، هدية كريمة منكم لمكتبة جامعة آل البيت .

وإنني إذ أعرب لكم عن صادق الشكر والتقدير على هذا الإهداء الذي جاء ليؤكد اهتمامكم بدعم هذه الجامعة الناشئة ، لأرجو أن يستمر هذا التعاون بيننا مستقبلاً .

نكرر الشكر والتقدير مؤكدين اعتزازنا بتعاونكم .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

رئيس الجامعة

(أ.د . محمد عدنان البخيت)

بسم الله الرحمن الرحيم

بنـك الاردن ش.م.ع

الادارة العامة

عمان - الاردن

الرقم : ث خ / ٢٣٥

التاريخ : ١٩٩٤/٨/٩ .

حضرة السيد أحمد الفسفوس المحترم

تحية واحتراماً ،،،

تلقينا ببالغ الشكر والتقدير نسخة مؤلفكم القيم (بلادنا سوق عكاظ أبدية) المهداة للاستاذ فايز أبو العينين / المدير العام ، ويسعدنا أن نعرب لكم عن خالص تقديرنا على هذه الهدية القيمة متمنين لكم مزيداً من التوفيق والعطاء .

وتفضلوا بقبول فائق الاحترام ،،،

مساعد المدير العام

محمد علي ابراهيم

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة الاردنية الهاشمية

وزير التعليم العالي

الرقم ٧/٧/٦/٧/٧/٠٦/١٢١٠

التاريخ ٩ صفر ١٤١٥ هـ

الموافق ١٨/٧/١٩٩٤ م

السيد أحمد موسى صالح الفسفوس المحترم

الزرقاء ص.ب ٥٤٧٥

تحية طيبة ، وبعد ،

فأشكركم على تفضلكم باهدائي كتابكم " بلادنا سوق عكاظ أبدية " راجياً لكم المزيد من العطاء والتوفيق .

واقبلوا فائق الاحترام

وزير التعليم العالي

الدكتور راتب السعود

- نسخة / مدير مكتب معالي الوزير

كلمة السيد محمد الشواهين مدير التسهيلات والمتابعة في المكتبة الاردنية

الاستاذ / أحمد الفسفوس المحترم

تحية طيبة ملؤها المحبة والوفاء والزمالة وبعد كم يسرني عندما اطالع نسخة من كتبك التي وصلتني ، لانني اشتم من خلاله عبق تاريخنا القومي الوحدوي ، وتراثنا العربي الاسلامي العريق .

ألمس جهدك العظيم وانت تلهث هنا وهناك من أجل المعلومة والواقعة والتاريخ لتضمن كتبك بكل ما يتطلبه زمننا الحاضر من احداث ووقائع مرت مر الكرام دون ان يعبأ بها أحد واصبحت من معالم المجهول ، لولا جهودك المشكورة وامثالك من الباحثين الذين يحيون تراث وتاريخ اجدادانا من الاندثار .

الاسلوب الذي تعتمد عليه في كتاباتك مشوق وسلس الأمر الذي يجعلني أمسك بالكتاب ولا أتركه حتى انتهى من قراءته كاملاً وأود لو يسمح لي الوقت لأقرأه مرة أخرى ، في حين أن كثيراً من معلوماته استعملها كوثائق ومراجع حيث أن الكثير من مراجعنا يقتصر الى هذه التفاصيل لسبب او لآخر .

وانني اذ اشد على يديك ككاتب ومؤرخ وباحث أولاً ثم كزميل سابق على أرض نجد في بطاح منطقة القصيم حيث الصحراء والواحات والأصالة والاغتراب وانني كأحد قادة منتدى الشباب العربي ، الذي يتخذ من نهج ومبادىء الثورة العربية الكبرى أسلوب حياة إذ أجد في كتبكم الحقائق الدافعة التي تثبت ان امتنا العربية أمة واحدة وشعبنا العربي على ضفتي النهر هم من اصول واحدة وان اختلفت المنابت ، فهذه الكتب هي مؤشر قوي من مؤشرات الوحدة الوطنية التي هي جزء لا يتجزأ من الوحدة العربية والتي هي هدف اسمى من أهداف منتدى الشباب العربي .

ولكم كل التوفيق والنجاح

محمد الشواهين

مدير التسهيلات والمتابعة / المكتبة الاردنية

رئيس تحرير نشره اسرة المنتدى

رئيس شعبة جنوب عمان ١٩٩٤/٦/٢٧

الى الصديق

الكاتب الباحث

الاستاذ احمد موسى الفسفوس

" أبو محمد " اهدي هذه الابيات

تحية تقدير ومودة له

" جنة الخلد "

شعر : أحمد الكواملة

يا جنة الخلد لا أنساك من وطن
أسرى اليه رسول الله وأعترجا

مهد الفوارس من قيس ومن يمن
ومهبط النور مؤتلقاً ومنبلجا

وساحة الغار أرج تربها الأغلى.
دم الشهادة هتاناً وممتزجاً

نابلس فيها جبال النار قد سامت
وجه العدو فضاق الكون وارتجا

وفي الخليل بطولات وما وهنت
مهر الكرامة في انحائها درجا

والقدس درتنا وما برحت
وتذكى الفؤاد فيبكى خافقاً لججا

ابا محمد ما يشجيك يحرقني

فاطو الكلام فلا عتبا ولا حرجا

دع التشكي اوجاعي تمزقني

والقلب ينزف في صمت وان ضجا

والحزن ارخى على روحي ستائره

وظن لا أملاً في الافق او منجا

فأرعد الشعب لجبا في إنتفاضته

وفجر الارض طوفانا ولا ملجا

فأورق الحلم في ارجاء ديرتنا

وبيرقا من نشيج الروح قد نسجا

بسم الله الرحمن الرحيم

THAQIF HOUSE
For Book Writing & Publication
World Of Books
A Quarterly Journal

دار ثقيف للنشر والتأليف
عالم الكتب
مجلة فصيلة متخصصة

الرقم : ٤١١/١/٢٢٣ التاريخ ١٤١٥/١٠/٧هـ الموافق ١٩٩١/٤/٢٢م

الأخ الكريم الأستاذ / أحمد موسى صالح القيسي

سلام الله عليكم ورحمته وبركاته وبعد :-

وصلتنا رسالتكم الكريمة التي تسألوننا فيها عن البحث عن أصل إحدى القبائل التي خرجت في فترة ما قبل ٢٥٠ عاماً إلى الأردن من أين هي مكاناً .. وإلام تنتسب ؟ وما أصلها الحقيقي الخ .. ومن ثم أحلنا رسالتكم إلى المؤرخ المحقق الشيخ / سعد خلف العفنان وهو أحد المهتمين بتلك البحوث القبلية عله يجد جوابا شافياً لتساؤلاتك إن شاء الله .. وأرسلنا له أصل رسالتك ليراسلك إن وجد الداعي إلى ذلك .. ونرسل لك عنوانه لتراسله كذلك .. لتمده بما توافر لديك من معلومات جديدة وبحوث قد تساعده للتوصل إلى الموضوع وتأصيله .. والله يوفقنا لخدمتك وخدمة أبناء العروبة أينما كانوا وحيثما حلوا .. ودمتم .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ،،،

مدير دار ثقيف للنشر والتأليف

عبد الرحمن بن فيصل المعمر

عنوان الشيخ / سعد خلف العفنان هو :-

حائل : ص.ب ١٠٨٦

بسم الله الرحمن الرحيم

Azzat Awf Zahidah
Teel. 844943 - 653245
P.O.Box (20670)
Amman - Jordan

عزت عوف زاهدة
هاتف (٨٤٤٩٤٣) (٦٥٣٢٤٥)
ص.ب (٢٠٦٧٠)
عمان - الاردن

Ref :
Date :

الرقم
التاريخ ١٩٩٤/٢/١٧ م
الموافق ١٤١٤/٨/١٣ هـ

الأخ الاستاذ / أحمد موسى الفسفوس المحترم

الزرقـــاء

سلام الله عليك وألف تحية ومحبة إليك وبعد ،

فأرجو أن تقبل اعتذاري عن التأخر في الكتابة إليكم ولكن مشاغل الحياة تجعل الانسان يقصر مع إخوانه وأصدقائه ولكن أهل السماح ملاح .

أرجو أن تقبل تهنئتي الخالصة على صدور كتابكم (قبائل بني قيس) الذي يعتبر بحق مرجعاً قيماً في هذا المجال ، كما أرجو قبول شكري وتقديري على هديتكم القيمة المتمثلة بنسخة من هذا السفر القيم .

وإلى اللقاء راجياً لكم التوفيق

المخلـــص

عـــزت زاهـــده

مركز الإستشارات في الجامعة الأردنية

رسالة الباحث السيد فايز أبو فردة

الأخ العزيز أحمد موسى الفسفوس المحترم

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته وبعد ،

فقد أثلج صدري ما أرسلتموه لي نسخة من كتابكم القيم (بلادنا سوق عكاظ أبدية) الذي يحوي بين دفتيه معلومات قيمة لا ترقى اليها الظنون والشكوك .

فأنا أهنئكم شخصياً متمنيا لكم دوام التقدم والنجاح ومواصلة العمل الدؤوب لاخراج الحقيقة من مظانها والرقي بها عالياً لتبقي مجردة منزهة عن كل ما يمسها أو يطمسها .

ودمتـــم

أخوكــم

فايز احمد سالم ابو فردة

البقعـة

رسالة السيد محمد عبد الله القيسي / منبج سوريا

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى حضرة وجناب الأخ الاستاذ احمد المحترم

تحية حب وتقدير نرسله لك من سماء سورية إلى سماء بلدكم الاردن الشقيق . وإلى مدينة الخليل في فلسطين التي نبع من جذور بني قيس بها ؟! كمثل الاستاذ احمد الذي بذل جهده وعمله من أجل جمع تاريخ هذه القبيلة العريقة وغيرها من القبائل العربية الشقيقة .

أولاً : السلام الى روحك الزكية لها منا جميعاً : قيس سورية وخاصة محافظة حلب ونرجو من الله ان تكون في تمام الصحة والسعادة وان تكون بخير من الله عز وجل .

يهديك التحية الاخ خالد عبد الله الضاهر القيسي وجميع افراد عائلته وسلام خاص الى الاستاذ احمد : من الشيخ محمود الشعبان البري ابو شعبان وجميع عائلة البري في محافظة حلب .

ونحن بإنتظار الطبعة الثالثة من تأليف الاستاذ احمد ونرجو منك ارسال الجواب . وارسال خبر الكتاب لكي نطلبه من عمان .

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أخوكم محمد عبدالله القيسي

سوريا / منبج

سعادة المؤلف الاستاذ احمد موسى الفسفوس الاكرم

تحية المحبة والتقدير

يسعدني أن أعبر لكم عن اعجابي وتقديري ويشاركني هذا الاعجاب والتقدير أبناء عشيرة الكوشه / الدعجه على جهودكم المميزة والمتواصلة في مجال نشر وتوثيق المعلومات العشائرية والأثرية والادبية التي لها علاقة بتراثنا وجذورنا عبر تاريخنا الذي نعتز به جميعاً وتجلى ذلك في مؤلفاتكم السابقة ، قبائل بني قيس ، جذور في التاريخ قبائلنا والمخطوطات والمقالات في الصحف المحلية وفقكم الله على جهودكم .

اخوكم المقدم المتقاعد

نزال سالم الكوشه

وجيه عشيرة الكوشه / الدعجه

طارق (طبربور) حي الكوشه

الاستاذ أحمد موسى صالح الفسفوس المحترم

تحية الاخوة الصادقة وبعد

من حسن حظي انني اضطلعت على كتابكم الشيق كتاب قبائل بني قيس وتصفحته بامعان وقد أعجبت جداً بالاسلوب الشيق والمعلومات القية التي تدل على جهد كبير بذلتموه في جمع هذه المعلومات القيمة ودمتم .

اخوكم

محمد جميل اخميس

كلمة وقصيدة

الشاعر سلمان فواز الشوملي

هذه الأبيات الشعبية المعبرة مقدمة مني انا المدعو سلمان فواز الشوملي اقدمها الى الأخ العزيز الاستاذ أبي محمد احمد موسى صالح الفسفوس الذي انعمنا بلطفه وبعبقريته الفياضة وبتعبيره الصادق المنبثق من جوارحه الصادقة الخلاقة الذي يعجز تعبيري وقلمي عن التعبير الذي أبرهن عنه وهو قليل من كثير ولا يسعني سوى أن أقدم الى الأخ العزيز أبي محمد المذكور هاتين القصيدتين المعبرتين عما ما كتبه ضميري وارجو من الصديق العزيز احمد الفسفوس ان يتقبل مني هذه الابيات مع جزيل شكري وتقديري الى شخصكم الكريم وشكراً على جهودكم في الكتابة عن تراث عشائرنا وقبائلنا .

الشاعر

سلمان فواز الشوملي

٩٤/٦/٢٦

القصيدة الأولى

لا يا حلوه سهامك بلوه برد العين   بقلبي نبله من المقله ورمش العين
حسنك زايد والقصايد تنظملك   سحرك راصد عين الحاسد تنظرلك
مدي قاعد علمقاعد ... بنظرلك   وقلبك قاصد للي قاصد صرلو سنين
عيونك خضرا ليش الخضرا عالجفون   مري مره لنا مره .. عالمفتون
بصدري حسره صرلها فتره وكالمسجون   وشفت الخضره بعينك خضره بتشرين
الشعر مجرد طوله مسرد عالكتاف   ورد مورد جوري مغرد عالشفاف
شفتك معبد رحت أعبدها لوصاف   سهمك سدد قلبي حدد صاب العين
له يا خلي يكفي تقلي هالحرفين   قلبي انعلي وجسمي انشلي يا نور العين
حبك ديني لا تجافيني يا حساس   خدودك عيني ياسميني جناس جناس
عنقك نامي عنق نعامي عيون نعاس   ما في مثالك بجمالك من موسكو للأرجنتين
جننتيني يا نور عيني بقلبي .. نار   طولك زيني رمح أرديني بضو نهار
خذي روحي وداوي جروحي سر وجهار   لحضك قاضي سيف الماضي بوالحدين
خافي الله بعرشو اتعلى دوم موجود   عاجوابك سر اخطابك هالمرصود
حيرتيني عذبتيني شوا المقصود   بدك قلبي بس لتغبي يا نور العين
قلبي ملكي بهديه ألكي ثم الروح   تمثني معكي دوم تتبعكي وين ما تروح
تنور دربك تسعد قلبك والجروح   الفتحتيها بالله أشفيها بنضرتين
مضى العمر بحب السمر من زمان   لا يا خلي الشقر العلي وورود بستان
عروقها بقلبي صعب غبي هالغشان   له يخصاره ندا وطاره والشطاره عالحبلين
قلبك قاسي لحبك ناسي وما نتحيت   وحبي صادق ورب الخالق ما خليت
عيوني منهل شراب وتمهل ما عزيت   وبنسى الماضي وحكم القاضي بشرطين

الشـــرط الأول دوم تتحـول الظلمـي .. نـــور   بتــم قمـــره عاطــول عمـــره وبنجكتـــور

وما يتجافيني بتحرميني ما قطعتيني سبع بحور   مع البحره وسيلها ونهرها وسد العالي والنهرين

الشــرط الثانـــي عهـــد وأماني بغير سكوك   عالشرعيـــة نمشي سويـــى نقـــول مبروك

حنـــان وحنيـــه نـــور عنيـــه بغيـــر شكوك   واللـــه معـــنا مـــا يضيعـــنا هالإثنـــين

حنـــان وحســـاسي يـــا الماســـي نـــور لقلوب   فهـــمي قافـــــي عـــا أوصافـــي والمطلوب

ســـرج ومهـــره بـــأول عمـــره والمحبوب   وبنـــدوقيـــة نقلهـــا غيـــه عصمليه ام ذانين

المخلـــص

الشاعر سلمان الشومري

الأزرق

القصيدة الثانية

روحي غدت مرهوني	بي قبضت المزبوني	روحي الك فلبي معك ما بخدعك	لا تخيبلي أضنوني
يا كامل الهندامي	ضنت ورد الخدودي	حلوا طويلي القامي	ومسلسلي الجدودي
من العين لرض الشامي	ما قلتها موجودي	عاكسمها وعارسمها وبأسمها	المرسوم جوا أجفوني
المرسوم نورا جبينا	شبه القمر بالظلما	والقدعود .. الزينا	شهدا الحلى من تمسا
يا وردتا .. بيجنينا	ما شبعت انا من شمها	صعب الوصف عن زينا	هنيت بيها ومها
بليلة قدر وضعينا	والمسعد اليي يضما	قبل وبعد يوم الوعد نال السعد	على جنة المضموني
الجنه ملك بيدها	رب السماء هداها	وكمل حلاها وقدها	وكل الحسن عطاها
مرحوم بيها وجدها	ولديد أللباها	تمنيت بدي .. بيدها	مضي العمر وياها
وشم الورد من خدها	وعطر ومسك من فاها	بدرب الحلال احوا الغزال الزايد دلال	يا ناس لا تلموني
يا ناس ربك زادها	حسن وجمال شبه القمر	وفازت على حسادها	بقدرت المولى أمر
امفضلي عبلادها	من الهند لديرة عمر	تخضع لها أسيادها	وتطلب لها طول عمر
نالت فخر بجهادها	علبيض مع كل السحر	نورها صطع خدها لمع برقها شلع	هلت عليّ أمزوني
ح مي اسمها	نالت لفكري والجهد	الف لهفت نفسها نالت لقلبي والكبد
أبعيني،خايل رسمها	ملقيت انا قبل وبعد	ظبي السهل عاكسمها	ريما شرد خلو فقد
ونجيت وصف حسنها	حوريتا توفي العهد	ربي وهب قدها سكب لفضها ذهب	من ميسم المفتوني
الفتاني بي تغريدها	الجوهره المكنوني	روحي غدت ملك إدها	وكثرت عليّ همومي
يا صاحبي لا تزيدها	بحكمك انا مظلومي	هجر النفس ما يفيدها غير حتفها المحتومي
روحي خذي ما ريدها	يا جنتي المزعومي	يكفي بقى هذا الشقى يا الزبقى	لسقيكي دمع اعيوني

المخلص

الشاعر سلمان الشومري

الأزرق

المقـــدمة

ألح علي الكثير من أصدقائي بأن أصدر كتابي : بين الحقيقة والخيال . فاحترت أي المواد أضمنها إياه وهي بالمئات من مقالات كتبتها عبر مسيرة كتابتي الطويلة والتي صدر لي خلالها عدة مولفات تاريخية : فكانت هذه التي ضمنتها إياه عشوائية وكجزء أول سيتبعه عده أجزاء بإذن الله تعالى .

أما كيف جاء اختياري لهذا الاسم (بين الحقيقة والخيال) فقد كانت هذه المواد مستقاة من قصص واحداث حقيقية وأخرى خيالية ، عالجت من خلالها بايجاز مشاكل ومعاضل ذات صلة بالانسانية عامة . وكان أغلبها باسلوب قصصي معززاً بالأمثلة والحكم المستقاة من تراث أمتنا الماجدة ، وجدير بنا أن نفتخر ونعتز بتراثنا التليد وأن نتغنى به ونحفظه ونعمل بايجابياته ليبقى رمزاً للقيم الرائعة والمروءة والمبادىء الحسنة فقد شهدت الانسانية عامة بروعة هذا التراث العريق الذي يشع رحمة وعطفاً وحناناً دافئاً ومواقف حميدة درة في جبين التاريخ والانسانية .

ولم يفتني أن أشير أيضاً إلى أحداث ومواقف وامور تراثية عالمية انسانية بين الحين والآخر ضمن هذه الكتابات إيماناً مني بوحده تراث الانسانية واشتراكه في قاسم مشترك واحد وهو ان عنصر الخير هو الفائز أخيراً داحراً أمامه بعنف وقوة مضاده وخصمه العنيد بابواقه العريضه وروافده القوية الا وهو عنصر الشر البغيض .

واني لأسأل الله تعالى أن يعينني على حمل هذه الرسالة الانسانية الهامة لخدمة تراثها والإفادة منه ونقله بأمانة وحفظه للأجيال القادمة أنه سميع مجيب .

المؤلف

أحمد موسى صالح الفسفوس

عضو اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين

الزرقاء ١/١/١٩٩٥م

٢٩ رجب ١٤١٥هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

بقلم أحمد [illegible]
العتيق

ملاحظة: لقد أكثرت من الكتابة عن الزواج وأزواج
وتعددها وكانت الردود متفاوتة بين متحمس
ومستنكر ولكن كل المعجبين بذلك هم الرجال
والعوانس والعزباوات حتى أني في زيارة
لمكتبة كلية مجلون حيث جلست أتصفح الجرائد
وحولي عدد من الطالبات يتضاحكن فحسبت للأولى
فرمقت مقالاتي حول ذلك فالتهبن ما زلتم
بتلك صراحة وهن لا يعرفنني
الحلية رائعة وعندما أخبرتهن بأني ذلك الكاتب للمقالات
رحبن بي بالله أن يكثر من ذلك فالتهبن [illegible]
فقلن نعم فأنت كل من يدعو ... أعجبنا بها كثيراً من أن يحمي جانقا وبلا زواج
أما المعارضات فخاطبن المجلات والدوريات والجرائد
التي احتضنت ذلك (وكنت بالمناسبة أكتب في
جميعها متطوعاً حتى أن إحدى الجرائد الكبيرة
طلبوا مني الالتزام فقط معهم على أن أعطى زاوية
صفحة لقاء أجر مرض ولكني اعتذرت لصداقتي
معهم جميعاً) خاطبتهم على ألا ينشروا مثل
هذه المقالات وخاصة التي مني حول ذلك الموضوع
لمن رغبن بأن أزواجهن باتوا يتحججون لذلك
فكان رد محرريهم على أن الصديق زوجته لن
يفكر في ذلك. مما اضطرني إلى التخفيف فالعدول
عن تلك الكتابة ... للتأكيد والإبداء ملتقيا ... التي تحفيني بيت على أن لا

مع عدد من الوزراء فيما بعد من الوجهاء والمثقفين

٢- أخذت طابع الرحلات شيء بعد جميل كتاباتي

ولقاءاتي مع كافة القنوات الأردنية والخاصة والجرائد والدوريات والصحف الرسمية

ومنها الأجنبية كجريدة جوبا السعودية

إذ عشت طفولة وشبابًا مرهقًا جدًا في بيئة ساحرة في جبال الخليل

فبعد أن الخليل ومدينتي دكية مشرقة واعية والوالد دوره للنامي حول المحتلة

وجدت الاحتمال [illegible] للتلاميذ الإرشاد

خاصة مما يترتب على الجبال الرواسي من تحديات وعقبات والقبائل

في الحياة العملية والخاصة

ولكن مع نعم الشتائل في مجال الشائك ومعترك الحياة اليومية الخاصة

بعون الله تعالى ذلك أن صمدت أمامها

كطريق للنجاح في الدنيا والآخرة فما الذي الصبر على الشواك

لله تعالى على نعمه والصلاة ولذا كل سيدنا محمد خاتم الأنبياء والرسل عليهم جميعًا

أفضل الصلاة والتسليم ولا أفرق بين

أصحابه وأن أكد أنهم أخوة بلغوا الرسالة

سائلًا الله تعالى أن يجمعنا معهم في الفردوس الأعلى من الجنة برحمة من الله تعالى فجزاهم الله عنا خير الجزاء

سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وشاكرًا حقائق

لنا ولها الدنيا وإلا صباحًا وأقوالنا المسابقة غدًا حامدًا لله

يد تعمر وأخرى تخرب !

اذا ما القيت نظرة عامة على مدينة ما فانك تأخذ انطباعات أولية عنها ، فيعجبك نظافتها وأشجارها وعمارها ، وتبجل اولئك البناة الذين يعمرون ويشيدون من عمال مخلصين في ساعات الصباح الباكر والمساء المتأخر تحت وابل المطر وحر الصيف وبرد الشتاء . وكم تسر وتسعد وانت سائر على جنبات الطريق والارصفة لترى شجرة خضراء أو مقعداً يجلس عليه المتعب والمريض ومن ينتظر صديقاً له بموعد أو غرض ولكن النفس لتشمئز عندما تجد شجرة مخلوعة أو مقعداً مهدوماً على امتدادات الطريق الموصلة بين أطراف المدن أو القرى أو حتى الطرقات العامة الخارجية ، وبالتأكيد فإن الذين يمارسون ذلك لهم السفهاء حقاً الشواذ الذين لا يقدرون معنى التضحية والتعب والتكلفة والوقت وشرف الانتماء الى الوطن ، فالإنسان المثالي يحرص كل الحرص على عدم الاضرار بشيء من مكتسبات الوطن أو موجوداته ، فالعبث بها مرض وخيانة وطنية ، وعلى مؤسساتنا وبيوتنا ومدارسنا واجب زرع روح الإنتماء لدى كل فرد منا فالمجتمع الحضاري يهتم كل الاهتمام بالاخلاقيات قبل النواحي الأخرى فالأخلاق هي سر وجود الأمم وسبب قوتها وبنائها ألم يقل الشاعر .

هي الأمم الاخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وفي كل شيء في الحياة والوجود عبره حتى الحشرات والديدان والقواقع والسلاحف فعلينا ألا نعبث بها أو نقتلها أو نعذبها فهي أرواح تسبح خالقها ، فقد اكتشف العلماء مثلاً أن هناك عقاقير بالغة الأهمية تحويها السلاحف تصلح لمعالجة عدد من الأمراض الخطيرة كالروماتيزم والحميات والسرطان ، فبدؤوا بتأسيس المزارع العديدة ، والكبيرة منها ، فسبحان الله إذ أصبحت تلك المخلوقات البريئة التي كنا نستقذرها ويطاردها بعضنا ، مصدراً علاجياً يمدنا بالرحمة والشفاء والأمل المتجدده للحياة السعيدة بإذن الله .

ولتكن يا أخي صاحب اليد التي تعمر لا تلك التي تخرب ، ولا ترمين حجراً أو تبول

في بئر قد تشرب منه يوماً ، ولا تقلعن شجرة قد تستظل تحتها ساعة حرجة في جو متقد تكاد تحرق منه من شده الحر والقيظ ، قيل أن مزارعاً تعاهد شجرة ليجلس تحتها سلطان متخف في سفره فأكرمه المزارع على غير معرفة منه له ، فما لبث أن أرسل إليه السلطان ليضمه إلى حاشيته وأن أميراً تمتع ذات مرة بأشجار على جنبات طريق جعلها صاحبها سبيلاً فأغدق عليه ، فصدق من قال : اعمل المعروف ، وألقه في البحر .

المحاولة تلو المحاولة تصنع المستحيل

قال له : أي بني إن المحاولة تلو المحاولة تصنع المستحيل ، أرأيت الحفارة ، العملاقة تثقب الارض بعد أن يكون منقارها قد إرتد المرة بعد المرة نحو وجه الارض راقصاً مترنحاً ثاقباً مقبلاً مزمجراً يصارع الحرارة الرهيبة يحدوه الأمل فيتفاعل معها ليصل اعماقها منتصراً .

وتلك الايام التي تطوي أعمارنا تقدم لنا أحلى ما في كبدها وثناياها بينما تخبىء لنا من الدواء والمفاجاءات ما هو حلو ومر فتذيقك السعاده أو الوان العذاب وهذه سننها .

وأيام الشرفاء العاملين كـالبالي المحبين المعذبين يقضون سنين حيارى ساهرين معذبين حتى ينالوا هدفهم ويحظون بمن أحبوا ، والانسجام مع الغير من أهم بذور النجاح ، فقد ترى أحدهم يقطع المسافات الطويلة ولسنين عديدة ، ولا يفكر في الانتقال لمكان أقرب وذلك لشدة أنسجامه مع زملائه ، واذا ما ودعهم فسيبكونه ويذكرونه ماحيوا عكس السيء فان الكل يفرح لفراقه ويحاولون جهدهم نسيانه ، والناس شهداء لله على خلقه والحياة معدودة أيامها علينا ، ولا ينال أحدنا سوى قدره ، فقد كان يتعنى ويقطع المسافات ليراها ولو للحظة يسعد فيها ، وذات يوم أخره صديق له فحزن كثيراً وعاد من حيث أتى ليجدها تعالج حمل ناقتها في طريق آخر غير التي اعتادت السير فيه فكانت صدفة رائعة من غير ميعاد ، وكان في ذلك بركة اللقاء الاول بينهما ولتمتلىء الارض فرحة ونشوة وسعاده ، وحناناً بذلك .

أما اولئك الذين يمضون عامهم في اللعب واللهو فيزور أحدهم مزرعته آخر العام ليجدها مرعية من الدواب أو أكلها العشب أو فتكت بها الديدان ، وذلك الذي نام عامه كله وتلهى ولم يدرس الا ليلة الامتحان فكثف دراسته حتى اضطرب تفكيره ومزاجه فرسب ، أو ذلك السائق الذي قطع مسافات بعيده ببطء يتمتع بالأغاني أو الكلام مع الركاب ، حتى إذا دخل حرمة المدينة حيث اكتظاظ الناس اخذته نشوة الجهل والاهمال فأسرع بسيارته حتى يرتكب جريمة الدهس وازهاق الارواح ، فهل هؤلاء أسوياء أم شواذ ؟ وهل يعتبون على القدر أم على سوء أحوالهم ؟

إيـــاك أن :

قال حكيم ينصح ابنه إياك أن تقتل فراشة حطت على وردة أو ثمرة في حقلك ، أنهـا تكد وترقص وتعمل ورفيقاتها أعراساً دائمة وفي كل مكان وكثيراً ما كانت تلك النار التي تجتذبها بجمالها ونورها مقابر لها . ومن سلم منها فإنها تعود لتملأ قلب ناظرها فرحة وعيناه جمالاً رتيباً أخاذاً فتزيح عنه الغمة والنكد والهموم .

إياك أن تقتل نحلة طنت فوق رأسك وأنت نائم وتذكر أن لو قتل كل امرء مثلك نحلة لما وجدنا ذلك العسل الشهي النافع باذن الله .

إياك أن تقتل طيراً صحاك من نومك بزقزقته ورفات أجنحته الساحرة المتتالية ففي ذلك سحر الطبيعة وغزل الوجود .

إياك أن تسب أرضاً كنت غريباً عنها فقد تحتاجها يوماً فيكون سلاحك زادك الذي ارسلته مسبقاً فترجع خائفاً جائعاً ملوماً .

إياك أن تلقي حجراً في جرة أو قذراً في بئر أو رملاً في طعام قد تحتاج اليه يوماً فتخض نفسك الما ويجف حلقك عطشاً وتتمزق معدتك جوعاً .

إياك أن تسب برقاً أو غيماً أو رعداً برق أو غطاك أو زمجر فوق رأسك فهو صنع الله تحركه ملائكته نذيراً لغضب أو بشيراً لرحمة قادمة .

إياك أن تخـون من أمنك أو تكذب من صـدقك أو تخـذل من قـصـدك أو تغـدر من استنصرك أو تخذل من رنا اليك بكل ثقة فيك فهو الضعيف وانت الاقوى منه ، فإن بقيت تلبس ثوب الاخلاص بقيت في عرس دائم ومهابة لا تنقطع وأمن وأمان لا يكسر حوضه أو يفل سياجه .

إياك أن تجفو حبيبتك أو تتكبر عليها أو تخنها ففي ذلك اللعنة والمقت والخسران المبين، واياك أن تكتم حبها ولا تعلمها به ففي الافصاح صلة وصلاح وعلاج ووصال ، والحاضر للعين ماثل للذهن وساكن للقلب ، أما الغياب فهو الجفاء والموت والنسيان ، فإن يسر الله لك رؤياها حتى وإن بعدت المسيرة وصعبت الرؤيا ، فلا تتركن لحظة ، أن تراها فيها ، تطمينا للقلب واسعاداً للنفس وإراحة للبال . فإن العيـون تتكلم وان القلوب تتراسل ، وان الحب

يكبر وينمو ويتعزز في النفس وهو بحاجة للسقيا المتواصلة طلاً لا إغراقاً ، ففي الندى الري اللذيذ والعلاج الشافي ، أما الإغراق ففيه الجرف والموت والفضيحة التي قد تؤول الى الخسران المبين .

يا بني : إن الحكمة العظيمة والحب والوفاء العظيم واحد الصفحات لهي أثمن ما أكسبه الله الخالق لمن أحب من عباده .

رب أخ لك لم تلده أمك

يقول ابن المقفع : على العاقل أن لا يكون راغباً إلا في إحدى ثلاث : تزود لمعاد أو مرمة لمعاش أو لذة في غير محرم .

وقال حكيم : قد يكثر المال مقروناً به الكدر

وقال مجرب عركته السنون بعد أن جاب بقاع الدنيا : أي بني لا تعتزن بأهل أو عشيرة أو بدينار أو درهم أو مركز أو جاه فقد تكون جميعاً أو فرادى خناجراً أو سموماً تقتلك وتتألب عليك وتدمي قلبك . وليكن عزك قصدك الله تعالى لتجده سندك حيثما سرت وكيفما صرت ، لينجدك اذا حاصرتك المحن وكادت الصعاب تقتلك وأسرتك الهموم والأحزان والخطوب .

وبهذا ولهذا حث الخالق تعالى على حسن الخلق وشجع الرسول (ص) على الاعتزاز بالله وحده وتبارى السلف الصالح في اختيار أصدقاء الخير المخلصين الأمناء الذين تجدهم حيث تشاء ، وقد قال قائلهم : رب أخ لك لم تلده أمك .

فكم من صديق مخلص عزيز كان رمزا للنجدة والأخوة والوفاء العظيم وأحمد الوقفات شاعراً أن من أطفأ شمعة صديقه بقي معه في الظلام ومن أنار شمعة له ولصديقه معاً في عتمة الليل سارا سوية نحو بر الأمان والهداية ، وأن الصديق المخلص ليصم أذنيه عن سماع أي شيء يسيء الى صديقه لا كبعض الناس الذين هم على استعداد تام ودائم لتصديق أي خبر إذا قيل لهم همساً في الأذن أو علانية ليبدلوا الحب والوفاء الى قطيعة وخصام ، ولكن عليهم أن يتذكروا أن الصداقة المخلصة والمحبة هي هدية الله لأشرف خلقه ، وأنه لكفيل وجدير بحفظها ورعايتها وصونها رغم أنف الحسادين والمفسدين والطغاة .

يمعن في الرذيلة ويقيد أهله وأبناءه في كل شيء حتى يكون البيت جحيماً ، فينعكس ذلك سلبياً عليهم ، لأن الابناء يتعلمون بشكل منقطع النظير من والديهم ، وهم شديدوا التقليد لهم ، وأن هذا المنع يولد لديهم حب الاستطلاع والتقليد السلبي بشكل غريب والتتبع بشكل سري حذر جداً ، ولذلك فإن كل ممنوع مرغوب ، وأفضل طريق لعدم الوقوع فيه هو الاقلاع عنه كلياً ، والكبت يولد الانفجار فهو البراكين المضطرمة ناراً وحرقة فلابدلها من متنفس طوعي أو كرهي لاخراج هذه الحرارة الرهيبة والتبريد منها وقد يكون ذلك سلبياً تماماً دونما ادراك للعواقب . فخير وسيلة للصيرورة السليمة لبني البشر هو السلوك القويم والخلق الصادق والصبر والقناعة ، خاصة في هذه السنين التي يتصارع فيها عنصر الخير مع عناصر الشر المتوحشة تماماً ، كالطعم النادر مع جراثيم بالغة السمية والتعقيد والضرر .

والرحمة والرأفة والعطف على بني الانسان هي خير دافع وحافز للتعاون والاخلاص والعمل الجاد فالعامل في المصنع ، والمعمل أو أي مجال يمارس أعمالاًمضنية متعبة يعيش بين الاخطار والاهوال والملل وتقلبات الأحوال والاعياء ليعطينا أعمالاً ونتاجات براقة ننتفع بها ونسعد، فعلينا نحن التخفيف عنه واراحته ودعمه .

ونستغرب كثيراً عندما نزور بعض المكتبات في أحد الدوائر أو أكثرها فلا نجد كتاباً غير المتخصصة في دائرة أبحاثها ، وهذا ظلم وأسر لعقل ونفس وفكر العاملين فيها ، فالعقل كالبستان ينبغي أن يحوي ما أمكن من كل صنف من الزهر والورود والثمر والبنت وتنمية ورعاية ذلك ، فالانسان ليس مجرد آلة عجماء وليس انساناً آلياً محضاً فهو عنصر من طين أصلاً معدنه العكرة والصفاء والعواطف المتأججة المتجددة ، يقول أحدهم لابنه : عليك التعلم من كل شيء فكل حركة وسكنه وتعبير في الحياة له معنى وتفسير بل كل كلمه واصطلاح وآلة قد تجد لها استعمالاً أو تفسيراً يختلف تماماً من مكان لاخر أو من قوم لأخرين سلباً أو ايجاباً .

كانت نهاية أحدهم الموت اذ قتله أحد الجهلاء عندما وجده يبول خلف جدار بيته ، ولكنه قال قبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة : لقد جنت عليّ أمي يوم علمتني صغيراً أن أبول في زاوية البيت ولم تستجب لردع والدي وتوجيهاته ، فها أنا أجني ما علمتني إياه والدتي .

كما تدين تدان

حاكوا له مؤامرة فدبروا له تهمة صعبة ، فاقتادته الشرطة ، إلى حاكم البلدة فأيقن الهلاك ، فهو غريب الدار ، فجلس ووجهه يتكسر يصارعه الحزن والكبت والقهر وتغسل محياه البراءة ، والصدق فلاحظ الحاكم ذلك وجال في خاطره الاقوال المكثفة المرة من المدعين عليه فاستحلفه واستوضح الأمر ليحكم ببرائته ، فغمرته السعاده ، والفرحة والاطمئنان ، وما لبث الرجل أن عاد إلى بلاده .

وتمضي السنون ويعزل الحاكم ويتردى حاله فيضطر إلى ترك بلدته ويذهب إلى بلدة بعيدة فكانت بلدة ذلك الرجل ، ومكث بها مدة ، فحسده الناس فأخذوا يرمون القمامة وينثرون الماء القذر باب منزله فيتألم ويتوجع ولا يجد غير الصبر وسيلة لأن الجار إن وصل به الحد الى ذلك التصرف فهو مجرم معدوم الانسانية والاخلاق والمروءة .

وذات يوم وفي باكورة الصباح أخذ أحدهم يعزف بأعلى صوته على زمارة رماها عند باب الرجل فانزعج الحاكم وأخذ رجاله يفتشون عن الفاعل فوجدوا الزمار ، عند باب الرجل فاقتادوه للحاكم يقولون : لقد احضرنالك أبا زمارة ، الرجل الغريب الذي لم يكن أديباً .

أخذ الحاكم يتفرس وجه الرجل المهموم المغموم فإذا به يتذكره ، بينما لم يعرفه الرجل فسأله عن حاله ، فأخبره بامره وبما آل اليه حاله .

فعرفه الحاكم بنفسه وانه هو الرجل الذي كانت له قصة عنده يوم كان حاكماً في بلاده فتعانقا ، وأحسن الحاكم وصاله ، وبنى له بيتاً وأقطعه أرضاً وفرض له مرتباً مادام حيين ، فقال الحاكم : صدق من قال : كما تدين تدان ، والتقوى أقوى ، وأفعل المعروف وارمه به في البحر ، وأسعد الله من جمع العطف والرحمة باحمد الخصال بدل القهر والغدر والطغيان والتحيز .

حول المهرجان الثالث عشر للموسيقى

عقد في عمان المهرجان الثالث عشر للمجمع العربي الموسيقي برعاية الشريفة هند ناصر مندوبة عن جلالة الملكة نور المعظمة .

ونحن نسعد بمثل هذه المهرجانات المفيدة التي تحفظ وتصون جانباً هاماً جداً من تراث الوطن فالموسيقى تشكل غذاء نفسياً ترويحياً للنفوس المرهقة المعذبة ، وتمتاز موسيقانا العربية الواحدة من المحيط الى الخليج بجمال الايقاع وشمولية الألحان وروعة التعبير عن خلجات النفس وملائمتها للكلمات المعطاة ، ولقد حظيت باحترام وتقدير عالمي ومنذ الازل وحتى الان ، ولو تمعنا كلماتنا وجملنا الفنية والادبية وحتى العامية لوجدناها مفعمة بطبيعتها بالموسيقى المعنوية الهادئة الجميلة وكأنها تخفف من نيران وحمية وثورة الدم العربي الدافىء الدافق الحيوي ، يقول أحدهم : جئت من أعماق البادية ومعي زوجتي المريضة التي باعت حليها لتشتري بقرة وثوراً لعلهما يتكاثران فتساعدني في مسؤولية البيت وفي الطريق وأيام الجهل والضياع داهمنا قطاع الطرق فاستاقوا الثور والبقرة فتألمنا كثيراً وعزمت على الرجوع ولكن زوجتي الوفية أبت وقالت سيعوضنا الله ، ولنمض الى المدينة فمعي قطعة ذهب وهي الاخيرة مما كنت قد ادخرتها من تركة أمي ، ولما وصلا هناك وأخرجتها لتبيعها إلى الصانع قالت له على البديهة وبسرعة : انظر الى من ينظر اليك يراك ولا تراه ، واحسن الوزن كما تحسن اللفظ والمجاملة كفانا اليوم ما انتكبناه لقد اضعنا أملنا المنشود اذ نهب المجرهون ثورنا وبقرتنا . فسألها الرجل عن أوصاف الثور فوصفته وصفاً دقيقاً رائعاً . فكان هو ذاك قد أفلت من قطاع الطرق وهام على وجهه ليدخل مزرعة ذلك التاجر الثري فاحتفظ به ، وكم كانت نشوة التاجر من فصاحتها ولذة تعبيرها ، ليقول والله ان ذهبي هذا كله لا يعدل جمال نغمات تلك البدوية فكأنها شاد أو حاد أو عازف بارع ، وعندما رجعا الى البيت وجدا بقرتهما هي الاخرى قد هربت من المجرمين وعرفت بيتها وعادت اليه . فسعدا وهنئنا بذلك .

ونحن إذ نورد هذا المثال لنقول انها لدعوة صادقة ملحة ان نحافظ على موسيقانا وألا نمزجها بالشارد والوارد والصاخب والباهت من الموسيقى الغريبة ، فلا أروع ولا ألذ ولا أشهى من موسيقانا العظيمة الساحرة .

في هذا الزمن

في هذا الزمن ينحو الناس باللائمة على القدر في أي أمر ينوبهم سواء أكان ذلك من صنع يدهم أم غصباً عن ارادتهم ، بينما كان الاجداد وعلى فطرتهم يعرفون أن العمل السيء أو الحسن الذي يكون طوع ارادتهم هو غير ما يطرأ عليهم دون مسبب منهم .

فماذا نقول لمن أعانه على تصليح سيارته ودفعها معه لتجرحه فيرفع عليه دعوى تضرر ؟ أو لمن أقله سيارته فزعة منه دونما أجر وعندما أصابه الحادث اشتكاه يطلب تعويضاً وكان الاولون يتباهون بالخصم العنيد والمنافس القوي ليكون النصر ذو قيمة سامية أما اليوم وعلى نطاق الدول الكبرى يرغبون بالفوز ولو بطرق ملتوية كأولئك: الذين هددوا أحد اللاعبين الضيوف وفي بلادهم بالقتل ان أحسن في لعبه كي لا ينتصر فريقه على فريق تلك الدولة .

وكان السلف يحبون اللقمة الشريفة ويكرهون لقمة الذل والاستجداء ، أما اليوم فلا يهم الكثير منهم مصدرها وكيفيتها يقول ابن عمر (رض) :

ما يمنع أحدكم اذا أتاه الله برزق لم يسأله أن يقبله ، فإن كان غنياً عاد به الى أخيه ، وأن كان محتاجاً كان رزقاً قسمه الله له .

وكان عمر رزق ، يقول : اليس الله يرزق الناس من حيث لا يحتسبون ؟ قالوا : بلى ، فقال : فتلك العطية والهدية .

كان الاباء يؤمنون بالقسمة والنصيب وان الذي لك ليس لغيرك فذلك (العريس) الذي راق له الاستحمام آخر لحظة في بئر في بستانه تاركاً حمام بيته ليجدوه ميتا فيه بينما كانت العروس تنتظره والناس يصفقون ويغنون . أو ذلك الفارس العاتي الذي أنتزع خطيبة رجل ضعيف يحبها وتحبه ، وسار بها نحو أهله فرحاً مغتراً فعثر به جواده فمات فرجعت الى محبوبها تملؤه حباً حناناً عظيماً .

أما اليوم فأكثر الناس لا يؤمنون بالحب البريء والشركة الطاهرة ، والعلاقة الانسانية المجردة من كل مصلحة مادية عابرة كاذبة الأهداف ، كان الاجداد شعلة من العواطف المتقدة ، والشرف والرحمة والحنان العظيم وأحمد الصفات والتأده في احلك وأمر ساعات الغضب

والإنتقام ، أما اليوم فهيهات هيهات لأكثرهم أن يعرفوا الرحمة واصلاح ذات البين والتراجع عن الغي والإنتقام ، رغم أن الارض هي هي والزمان يطوي المخلوقات كشريط سريع يسجل كل شيء بحذر وحكمة ودراية ، يمر ذلك القائد المنتصر على قرية خربها جنوده ليجد عائلة باكية بأسرها تخرج شاة من بين الانقاض باشفاق وحرص ، فيتألم ويبكي بكاء شديداً ويضرب بمجمع يده على رأسه قائلاً : واويلتاه ، ماذا جرى لي حتى فعلت هكذا ببني عروبتي ؟ وأمر جنوده بارجاع كل شيء لخصمه وايقاف الحرب .

يضرب ابن جيرانه بشدة لقطعه الثمر من حديقته ، بحجة تعليمه الادب والأمانة وكان الطفل البريء يحسب ان جاره المنافق حلو اللسان اذا ما زارهم ، كأبيه وأن الحال واحد ، وكان بامكانه تأديبه بلطف ونصح وارشاد .

ويرفع احدهم صوت المذياع ولم يستجب لاحتجاج جاره فتكون معركة فيقول احد الجيران : لقد اشعرني جاري يوماً بتضايقه من صوت المذياع فأقسمت ألا يبقى عندي في البيت مذياعاً فكسرته .

وكم من مشاجرة حصلت بسبب أطفال أبرياء يلعبون ويتخاصمون ويعودون بعد قليل للعب بينما يقبع المتخاصمون في السجن أو في القبر أو تحت لوم هذا وذاك وغضب الله . !

وكم من امرأة اهرقت المياه القذرة في باب الجيران أو اهدتهم اكياس النفايات القذرة . يرمي أحدهم كيساً من القمامة في باب بيت جيرانه وفي اول يوم سكن بيته الجديد كي يختبر (مراجله) مع العلم ان العرب كانت وحتى مسافة قريبة يقدمون الضيافة والقرب لضيف والجار حال وصوله بينما يودعهم هو بعمل القرى إشعاراً وتقديراً لحسن استقبالهم ، وكان الجار الجديد ذكياً لبقاً فاشاع ان اولاده سطحوا الكيس ووجدوا فيه اوراقاً هامة وفلوساً فاعترف احد جيرانه بجريمته النكراء .

وتتشابك الأيدي وتبرق السكاكين وتنزف الدماء لتحرش ابن الجيران مع ابنة الجيران ، وكان يكفي النصح والإرشاد فالتهديد فاللجوء الى القضاء العشائري أو الرسمي ، وأن كثيراً من تلك الحالات كانت بمجرد كلمة عابرة او بريئة أو عفوية يقول أحدهم عن الايام السابقة : كنا بألف خير ، فكانت الناس طاهرة القلب والفرج عفيفة اللسان ، والبطن ، لا يعرفون الهم أو الحزن أو سوء الخلق أو التفرقة .

فكان أهل الحي كلهم كأسرة واحدة مهما كان أصلهم وفصلهم ولم نكن نسمع بمشاكل رغم فقر الناي وضيق ذات يدهم . أما اليوم فمال وعلم وسعة في الرزق وابتعاد عند الكثيرين من الناس عن كل ما أورثه لنا الآباء والأجداد من قيم مروءة وحب طاهر وحنو عظيم وأن ما في نفوسهم هو ما في أنفسنا اليوم فكانوا يحبون ويعشقون ويتلوعون ولكن

بشرف وعفة . فقد أحببت فتاة وهمت بها وكنت غريباً عنها فقيراً وهي من أسرة غنية فتحفظت بحبها ، حتى اذا اوشكت على الموت قالت لها صديقة :لا تنفع القصور في الهواء وترقب أن يضع أحدهم الملعقة في فمك ولن يتحقق حلم بلا عمل ، وأن من يريد أمراً صعباً فلا بد أن يضحي بكل مال الدنيا فعليك مصارحة أهلك بذلك فكان ذلك فوقفت معه أمها فأوصتها يوم الوداع : اشتريه بكل شيء فالمرأة الصالحة كتلة من الرحمة والحب والعطف ومستودع للفضيلة والامانة تشع حيوية باسمة الثغر . وأنت ابنتنا في قلوبنا ولكن لن نستقبلك ناشزة ولا تكوني كتلك التي التجأت لاهلها لتخاصم سخيف مع زوجها ليسمعهم يقولون لها : اتركيه ، واستأجري عندنا ، وان طلقك تعيشين معنا بما تأخذيه من حقوق لأطفالك ونفقات . فدعا عليهم أن يشتت الله شملهم وينكبهم . فكان ذلك وكأن باب السماء كان لهم بالمرصاد .

لا تدري أيهم أقرب نفعاً

جاءهم الصائح فتركوا طعامهم على النار وذهبوا على غير وعي وبصيرة ودونما استعداد كالجراد يملؤ الصحراء فزجرهم كبيرهم فلم يرتدعوا مستهينين بخصمهم لقلة عددهم فكانت الدائرة المرة عليهم .

وذلك الذي قتله ووطأ على رقبته ، فشب ابنه فعير بذلك ، فمكنه الله من خصمه فعرض عليه كل ماله فقال : كلها لا تعدل وطأك رقبة والدي ، ولأطأن رقبتك حتى تعرف طعم الاذلال ولاقتلنك حتى تعرف طعم القتل دونما وجه حق . ولو كان أمراً خاطئاً لعفوت عنك ، ولكن هدر كرامة الانسان لأخيه الانسان لهي أشد مرارة من القتل ، بل هي قتل النفس وأعماقها . وان حرمانه من الحب والعطف لهو دفنه حياً يروى أن شيخاً أكرم ضيوفه فسرق أحدهم عباءته ، فحزن عليها كثيراً ، وعندما قيل له بانك تكلفت الكثير وكنت فرحاً، أفتغضب على فروة ؟ فقال : أخشى أن يملأها قملاً فيقال أن الشيخ فلاناً وسخاً قذراً فندم الخائن بعد مدة وأنبه ضميره وقال في نفسه : وما كل مؤت نصحه بلبيب ، لقد نصحني صديق السوء بأن أسرق هذه الفروة كي يفتديها ذلك الشيخ بمبلغ كبير من المال ، لأنه يعزها كثيراً ، ولكن والله لن أسمح للعرب أن يقولوا اني سرقت ضيفي ، ولأرجعنها له فوراً وفي هذه الأيام حيث اختلفت المشارب والاهواء ، وأصبحت الضمائر حائرة متخبطة ، وفي ظل وجود الحضارة والانضباط والدول القوية فلم يعد هناك ضرورة للتعصب الأعمى لاقرب المقربين أو للقبيلة ، فقد قيل أن رجلاً أقسم ألو مات ابنه لدفن نفسه معه ، وما أن عجز ذلك الرجل حتى اشتهى طبقاً من الطعام فطلبه من ابنه ذلك فكأنه لم يسمع شيئاً ، ولا يدري الإنسان فقد يكون أقرب الاقربين عدواً له في الدنيا والاخرة ، وتبقى تقوى الله هي الكنز وسياج الامن وكذلك الصديق الوفي فقد أشار الأمام القشيري إلى أن الصديق الوفي لا يحملك على سؤالك إياه بل يبادر الى تقديم العون لك ويحاسب نفسه إن هو قصر بحقك فهو كالشجرة الطيبة إن لم تجد لها مسلكاً لجذوعها فإنها تحفر في الأخاديد ببطء وأناة ورفق .

حب ووفاء (١)

إستهجن الناس عقد قران عجوزين تجاوزا الثمانين من عمرهما ، وذلك أن الخبر المحزن تنامى الى مسامع الرجل العجوز وهو أن فلانة التي لم يبق لها أحد من أهلها تبكيه اكثر منهم وتتندم غاية الندم على عدم وقوفها معه يوم رفض أهلها زواجها منه وبقي يتلوع ويتعذب من أجلها حتى اضطر الى الهجرة عن ديارها لعله ينساها ، فبقيت وحيدة أسيرة أربعة جدران واذا ما خرجت للشارع تزحف كالميت فإنها ترى كل شيء اسود ينظر اليها بعين الشماتة واللوم ، فكل يعرف قصتها ومحبوبها الذي خذلته . ولم تعد تجد من يشتري لها رغيف خبز أو يقدم لها كوباً من الماء رغم وجود المال الوفير لديها فجاشت عاطفة الرجل العجوز ليستعيد ذكرى محزنة طويلة وكان وفياً لها فعقدا قرانهما لينهيا معاً مشواراً لم يكونا يحلمان بانهائه . ليراهما الناس في أسعد لحظات الحياة وكأنهما شابين في مقتبل العمر . وصدق الرجل ما كان قد أقسم عليه وهو عدم اخذه لأي فلس من مالها ، فكان يبيع ويشتري في سوق متواضع وبقي على هذا حتى الممات ، يحمل قلباً نابضاً بالحب والوفاء لمحبوبته تلك.

وكان من أغرب مفارقات القدر أن عجوزاً كانت تجاور بقالته المتواضعة ، لا تفارقه حتى ساعة قفوله الى بيته لتروي له قصصاً محزنة عن قصتها هي الاخرى مع محبوبها الذي حرمها أهلها منه ولم يتزوج حتى مات حزناً ، أما هي فبقيت دون زواج أيضاً وطال عمرها لتبقى وحيدة ولا خيار لها سوى الخروج الى الشارع والاستئناس بذلك الرجل العجوز واحضار ما تستطيع من طعام لتأكله في قارعة الطريقة ليقول الناس : واويلتاه ، فسبحان الله الذي يجازي الناس من جنس عملهم ، استحيت من كلام الناس وأطاعت أهلها بغيهم وعصت ربها وتنكرت لمحبوبها ، واستعزت بالمال والأرض ، فذهب أهلها ، ومات حبيبها المعذب فيها ، وبقي مالها حجة عليها لا يفيدها شيئاً إلا ملأ فمها وكثيراً ما تأفف من رجته أن يشتري لها غرضاً ما ، وأخيراً ساقتها الوحشة وأسر الجدران الأربع إلى تطليق الحياء فها هي تأكل علناً

وفي قارعة الطريق ، ويبقى أخيراً قولها : وماذا سأقول لله يوم أعرض عليه ؟ إذ سأموت على غير فطره الاسلام عزباء معرضة عن سنة نبيه (ص) وقانون الكون في وجوب إعماره وبقاء النوع والجنس البشري لعبادة ربه وقد هيئت الفرص، وممن ؟ من حبيبي الذي كفرت به، فماذا سينفعني أهلي ومالي الآن ؟ وماذا سيقولون لله رب العالمين لفعلتهم النكراء تلك ؟ يوم لا ينفع مال ولا بنون .؟!!

ما هي المروءة ؟

سئل الاحنف بن قيس عن المروءة فقال : صدق اللسان ومواساة الاخوان وذكر الله في كل مكان . فلاخلة أسوأ من الكذب ولاصفة أقبح من الجمود وايثار النفس على الغير ولا أجحد من كفران نعم الله وعقوقه .

ولا أعق من التنكر للأحبة ولمن قدم اليك الجميل والمعروف ووقف معك فخذلته ومشيت في ركب العدو والحسود والمتشمت ناسياً الوفاء والحب وأحمد الوقفات ، ذكر رجل الإمام الليث بن سعد بسوء وكان يتصدق عليه دائماً ، فلم يغضب منه ولم يمنع عنه العطاء فقيل له : اتق شر من أحسنت اليه ، فقال : نعم ، بدوام الاحسان اليه .

والذي يسير على دروب الشرف والحق يعي أن الدنيا كلها ساحة اختبار وامتحان وان ايام السرور قصار في عمر الزمن لان الكرامة درب العظماء وهم يحملون أعباء وهموم وأحزان الناس في قلوبهم ووجدانهم ، فكيف يسر من ترك من حمل همه في قلبه يصارع الأحزان والأسى والمعاضل وحده دون أن يقدر على تقديم شيء له ؟ ومن ضبط أمور نفسه هيأ الله له الإحترام والتقدير والتبجيل من كل الناس قال سيدنا علي كرم الله وجهه : ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة ، أعم الاشياء نفعاً موت الاشرار ، وتعرف خساسة المرء بكثرة كلامه فيما لا يعنيه ، وإخباره عما لا يسأل عنه ، إن تتعب في البر فان التعب يزول والبر يبقى .

ومن المروءة محاسبة النفس والمساهمة في بناء لبنات الحياة حتى أخر لحظة منها متذكراً أنك ستحاسب على كل دقيقة أمضيتها من عمرك وان اسعاد نفس ومدها بالحب يعدل عند الله قيام سنين طويلة ، قال عبد قيس بن خفاف البرجمي :

دار الهوان لمن رآها داره   أفراحل عنها كمن لا يرحل ؟

واذا هممت بأمر شر فاتئد   واذا هممت بأمر خير فافعل

وكم من اخمص البطن عار الثياب ساهر الليل كاد النهار ملأ قلوب الناس فرحة وحباً ووجهه يضحك متهللاً باشا ، حقاً انه من جند الله واحبائه فطوبى لأصحاب المروءات يملؤون قلوب الحزانى بالحب والعطف والفرحة والسعادة .

حول عادة إطلاق النار في الأعراس

آلاف الحوادث تحصد أرواح الأهل والأحبة كل سنة ، يردفها ما يحصل في الاعراس من مشاجرات واطلاق نار ، فبئست النشوة التي يلذ بها صاحبها ثوان معدودات ويتبعها الأ[لم] الدائم وتخريب البيوت ، فكم من طلقة طائشة قتلت روحاً أوأرواحاًبريئة تسيب عن ذلك تشريد أطفال وانحراف بعضهم وتسول الاخر ، وما يذوقونه من آلام اليتم ومرارته ، وما يفج[ع] قلوب الأرامل من النساء لفقدانهن أزواجهن ، فلا أنكأ ولا أحزن من فقدان زوج أو حبيب يراه المرء صباح مساء فيملؤ قلبه فرحة وحباً وحناناً دافئاً ، ويرعى مصالحه ويدبر أمره .

وليع هؤلاء الشواذ المستهترون وهم والحمد لله قلة في مجتمعنا اليوم لاستجاب[ة] الكثيرين ممن شذ عن الجادة القويمة منهم لنداءات المنكوبين والمصابين من أهالي الضحايا و[ما] لمسوه من حجم هذه المأساة ومن حرص رجال الأمن ومطاردتهم لمن لا يراعي راحة وأمن وسلام[ة] الناس ، فليع هؤلاء أن قيمة العرس وبهجته لا تكن في الطيش والاستهتار والشذوذ وازه[اق] أرواح الناس ، إنما تكون في البركة والرحمة والهدوء والتواضع ، والعودة الى تراث أمتنا فما كانوا يفعلون مثلما يفعله بعض السفهاء اليوم ، لقد كانت اعراسهم بالغة الرو[عة] والتعقل والاتزان ، تدار الحفلات وتقام الأعراس في أفنية واسعة برقصات جميلة موح[ية] بديعة كلها عطف وحب وحنان وتغن بأمجاد الأهل وبني الوطن ، ولهذا ذكروا الأحبة والخ[يل] والابل والديار والورود والأزهار وحد السيف وظهور المطايا والنجائب والفلاة ، وبإمكا[ن] اليوم تقليدهم لالتصاق هذه المعطيات بالارض والانسان والحضارة الايجابية ، فلا يلذ ال[...] بالفحش أو ادوات الدمار من صواريخ وطائرات ودبابات والات الموت والفناء .

عبرة من قرد

عجبوا لقرد ينظف شبك القفص الذي هو بداخله ويزيل عنه الغبار وكأنه يلهو به ويمضي ساعات يقاوم الملل من ذلك السجن الموحش في حديقة الحيوانات .

فإذا كان ذلك هو سلوك لحيوان أعجم يكره السجن والخمول والموت ، فما بالك بؤلئك الشباب الذين يتسكعون في الشوارع ويثيرون الفوضى في الاسواق والحافلات والسيارات التي يستقلون ويتذرعون ويبررون فوضاهم وسوء تصرفاتهم بانهم زمن الحرية التي ينعم بها الوطن والمواطن . فنقول لهم : حقاً إننا نعيش في حرية نزهو بها ونفتخر وننعم ، ولكن علينا أن نعي تماماً أن أي افراط في أي أمر ينقلب الى ضده فنقيض الحرية هو العبودية وان الحرية المطلقة هي شريعة الغاب والتطرف الأعمى والتهور وعدم الانضباط وذلك هو المأساة والضياع ، ولكن الحرية المضبوطة بقوانين وشرائع وأعراف وعادات وتقاليد هي الحرية التي يسعد بها كل مواطن وفرد وتلك التي رسمها لنا ديننا الحنيف وتقاليد وتراث عروبتنا الخالدة ونعم الميراثان هما . وبإمكان هؤلاء ملأ فراغهم بأعمال شريفة منها القراءة والرياضة وغيرها وفي الوقت الذي بلغت حضارتنا أوجها في عهد الدولتين الأموية والعباسية وفي الاندلس لم يرم ذلك الثوب الحضاري المستمد من تراثنا وعقيدتنا وقلدنا الشرق والغرب حتى في لباسنا ودخلت مفرادتنا في كثير من لغاتهم .

وعندما ضعفت الأمة وتفككت أصبح الكثير منا يلهث ويركض خلف الزائف من أخلاقيات الأعداء وعلى رأس ذلك الإنحلال وعدم الإنضباطية ولا يخال المرء أسوأ وأوحش وأقذر من شباب يصرخون أو يتلفظون بألفاظ قذرة أو بذيئة أو يطاردون الفتيات أو يضايقوهن وفي أي مكان يتاح لهم ذلك ناسين أن الشباب هم عماد الأمة وسبب منعتها وسلاحها الفاعل وساعدها الضارب القوي وهم الأقوى على تحمل المسؤولية والإنضباط . وأن عكس ذلك لهو العبودية لسلطان النفس العمياء والهوجاء . وان تقليد شباب العدو المنحلين لهو المسخ ولنتذكر أن تراثنا العظيم حوى مالم يحوه تراث عالمي من الرقة والقيم والتلوع فكم من محب بات يتلوى سنين عديدة كي يحظى بنظرة من محبوبته أو يفوز بها زوجة يسعد بها مدركاً أنها الجنة المنتظرة المحاطة بكل أنواع الاشواك والوان العذاب ، فيصبر ويثبت بشرف وإباء وانضباط حتى ينال هدفه السامي النبيل . فسحقاً ولعنة لذلك النوع البهيمي

من الشباب يتابع الفتيات لا يخجل من خالقه ولا من خلقه ، يقول الامام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه : إياك والتغابي عما تعنى به مما قد وضح للعيون ، فلن يعبك أحد ذو حجى ان أحببت وتعففت حتى تنال قدرك وبغيتك ، ولكن يعيبك ويذمك أقرب الناس وأوثقهم صلة بك أن تفحشت في قولك أو تصرفك المشين ، وتسليتنا أن السلبين من هؤلاء الشباب في مجتمعنا هم قلة والحمد لله .

قال له ذلك الحكيم المجرب : اياك أن تبدي ضعفاً أمام خصم فيطمع فيك أو أمام صديق فتحزنه وتخيب آماله وثقته فيك ، وإياك أن تسرع في حكمك بل عليك أن تتأنى فيه وتحلله أمراً أمراً كما تفتش الطعام سواء أكان في قصعته أم على الارض قد يخالطه إبرة أو زجاجة أو حشرة أو سماً قاتلاً .

وتعود على حمد الله وشكر من أنعم عليك حتى ولو بالكلمة الطيبة ، تعود أحدهم مدح سلطان ليكرمه ، ثم أن ذلك السلطان أفلس في أحد الأعوام لكثرة الحروب والقحط الذي ضرب بلاده طولاً وعرضاً وعندما زاره وقدم له وساماً فقط تذمر وتشكى قائلاً : وهل سيوفر لي هذا الوسام رغيفاً ؟ فسمعها العسس وأسرها الى السلطان فتألم وحزن وخجل وأحرج من الرجل فقال : إذاً كان مدحك لي للمنفعة وللمصلحة فقط ، كالمصلي الكاذب يتباطؤ في دخول المسجد ويسرع الخروج منه .

وتعود على القناعة والرضا وعبادة الله وحده لا المال فتكون كذلك الذي كان يلهث فيأكل ويشرب على عجل ولطالما أحرق الطعام أو الشراب فمه وجوفه لا يضحك في وجه أحد سوى لمصلحته ومنفعته الخاصة ، لا يكتفي بالربح العادي ، فمزقته الأمراض فحرم وأولاده لذة العيش وهناء ة الحياة وكرامتها . حقاً إنه كالطفل يركض خلف كرة أمامها نار عظيمة في هوة سحيقه دفع نفسه بها وراء أمر سخيف فانٍ . أما القانع فانه يرضى بأي شيء ويكون قدوة حسنة لغيره فيجود بكل شيء من أجل غيره كذلك الذي أفلتت كابحات سيارته وعندما فاجأه الأطفال اضطر الى حرفها نحو الوادي قانعاً بمصيره متجنباً موت الأبرياء فهنيئاً له شهادته ، أو ذلك الذي كان لديه اسطول من الحافلات وكان بخيلاً على موظفيه ولا يقول الحمد لله ولا يترك معصية الا أتاها فأخذ الله يضربه دون رحمة ليفقدها جميعاً ، وكثير من أمثاله كفر بنعمة الله فسلب تلك النعمة من حوله فبات ينعى أيام العز وما حوته وما حازه من ثروات طائلة فأصبحت عيشته عيشة الكفاف أو يقبع بين قضبان السجون وغرف المصحات ومطاردة الناس .

فالتقوى هي بذرة من بذور السعاده والصحة والربح فالتقي المتوكل الخبير جدير به إن قلب الحصى أن يجد تحته ذهباً أو يبارك الله له في صحته وماله وإن تاجر بالتراب ربح أو

أما الطاغي فما له الخسران وما من بلاء في عاد سالماً معافى في أهليه وعرضه وماله ، الأرض أو المال أو الجسم إلا بسبب معصية وخرق لنواميس الطبيعة . ولقد أثبت العلم أن الألوان الفاقعة والحمراء خاصة هي نذير ضغط وأرق وقلق وهي ألوان المال والذهب والفضة ، أما البراءة ، بألوانها الزرقاء الصافية الفاتحة فهي لون السماء والماء والرضا والقناعة بما قسمه الله له ورضاه به .

العرب في كريت

روي أن الحكم بن هشام حاكم الاندلس قعد عن الجهاد ومال الى لذات الدنيا فاستاء الناس واجتمع في الربض من قرطبة أعيان الفقهاء : يحيى بن يحيى الليثي صاحب مالك ، وطالوت بن عبد الجبار الفقيه ، وأبو حفص عمر بن شعيب البلوطي وأهل العلم والورع ، فاجمعوا أمرهم على خلعه وتولية أميراً أخر من قرابته لحمل المسلمين على الجهاد ، وانطلقوا يحرضون الناس على ذلك فخرج اليهم الحكم على رأس جيش عظيم فدارت معركة رهيبة في الربض فامتلأت الشوارع بالجثث فانكسر أهل الربض فألقى الحكم القبض على ثلاث مائة منهم وصلبهم على النهر واعمل الجنود السيف في الثوار وهدموا دورهم ومساجدهم وسلبوا ما فيها من أموال ومتاع ثم عفا الحكم عمن بقي منهم على أن يغادروا البلاد بأسرهم فامتلأت المراكب بقيادة أبي حفص عمر بن شعيب حتى إذا بلغت بر العدوة هبط منها ثمانية آلاف تقبلهم ادريس بن إدريس في فاس وانطلقت المراكب الاخرى تحمل خمسة عشر ألفاً يقودهم أبو حفص فدخلوا الاسكندرية وانتشروا فيها فأفزع سقوطها عبد الله بن طلحة صاحب مصر للمأمون بن الرشيد ، فانطلق اليها وحاصرها ودار قتال رهيب ، وأدرك عبد الله بن طلحة أنه لو استمر في قتال اليائسين فسيوهن جيشه فيطمع الساخطون والمتربصون فمن الخير مصانعتهم وتأدية جانب من المال لهم على أن يجلوا عن الديار الى جزيرة من جزر الروم فغادرت الاسكندرية أربعون سفينة تحمل عشرة الاف مقاتل وعند مالاحت إقريطش (كريت) استعد الناس وأخذوا يقرؤون آيات الجهاد فخيل إلى سكان الجزيرة أنهم يسمعون زئير الاسود ففروا ، وخفت الحامية البيزنطية الى الشاطىء فانكسرت أمام سيل المسلمين الجارف ، ففرت تحتمي بحصونها الداخلية تنتظر الامدادات من الامبراطور ميخائيل الثاني امبراطور الروم من القسطنطينية .

ثبت أبو حفص أقدامه في الجزيرة وأمر باحراق السفن فتثاقل الناس فاعاد ، ذلك فأبطل حججهم ثم أطاعوه لقوله : ألم أحملكم الى أرض تفيض باللبن والشهد ؟ ، وهذه أوطانكم ، إنسوا أوطانكم القاحلة المحلة ، وما أكثر النساء الحسان في الجزيرة ! ، إن هي إلا أن تستولوا عليها وتصبح نساؤها ، إماءكم ، وما أجمل أن تنسلوا هنا ! ، وأن تصبحوا آباء لجيل جديد ، يذكر اسم الله في الغدو والآصال .

تقدم أبو حفص في الجزيرة ولم يلق مقاومة اذ احتمت الحامية في الجبال ونزل بجنده في مكان فسيح وحفر حول معسكره خندقاً هائلاً فأطلق اسم (الخندق) على الجزيرة فحرفه الغربيون الى (كاثديا) ، وظل أبو حفص في تقدمه في الجزيرة يسحق كل معارضة حتى خلاله وجهها فجزع ميخائيل الثاني لسقوطها فما أن قمع ثورة القسطنطينية حتى جهز حملة بقيادة أمير البحر (أوريفاس) فدارت معركة قاسية مريرة على شواطىء الجزيرة انهزم فيها الروم واسس ابو حفص عمر بن شعيب البلوطي الاندلسي الإقريطيشي في جزيرة كريت (إقريطش) دولة أُصبح للمسلمين فيها آباء لجيل فتي يدين بالتوحيد ويؤمن بوطنه الجديد ، ويذب عنه غارات الأباطرة الروم *

* كتاب العرب في كريت / عبد الحميد جودة السحار

من الأبقى ؟
العلم أم المال ؟

ورثا أرضاً شاسعة ومالاً كثيراً ، أما الأول فباع الكثير منها وأنفق اكثر ماله حتى علم أولاده فنالوا أعلى الشهادات ، وكان لا ينفك ينصحهم ويؤدبهم بأكرم الاخلاق وأنبلها فتراهم متواضعين يزينهم الخلق الحميد والرأفة أما الثاني فباع أكثر أرضه واشترى بثمنها كله متاجر وأخذ يخرج أولاده من المدرسة ليديروا تجارته . فنصحه أخوه بأن يسلم مصالحه التجارية لتجار أمناء باشرافه هو وان يترك أبناءه يواصلون دراستهم ، فالعلم نور وكرامة وسلاح ورأسمال متجول ثابت وعليه أن يلازم تأديبهم فذلك هو الثروة بعينها . ولكن أخاه اشمأز من نصيحته واتهمه بالحسد ، وبعد سنين افلس أخوه لشدة تكلفة التعليم أما هو فأصبح من أثرياء المنطقة الكبار ، وفي حفلة لزواج ابنه حيث كانت مميزة بترفها ومظاهرها ، لم يتق الله في أخيه ويرحم وضعه ويمد إليه حبل المساعده ولابنائه ، فأخذ يتطاول عليه أمام الناس ويعيره قائلاً :

أرأيت من الأبقى العلم أم التجارة ؟ ، ولو أطعتك لكنت وأولادي مثلك وأولادك الآن.

فابتلع أخوه جرحاً عميقاً من أخيه واكتفى بكلمة واحدة : سنرى وانصرف وقلبه يدمي من تطاول أخيه متمثلاً بقول الشاعر :

وظلم ذوي القربى أشد مضاضة على المرء من وقع الحسام المهنده فيزجر أحدهم أخاه المتعجرف قائلاً : صدق من قال : دمك سمك ، ولكن أخاك اشترى أبناء تقاة مؤدبين متعلمين مثقفين بماله وضحى من أجلهم ، أما أنت فقد اشتريت مالاً ومتاعاً سيزول مع أبنائك الذين دفعت بهم إلى تجارة عجلاء لا يعرفون سبلها وحرمتهم من كل تجربة في الحياة

فهم عمي صم بكم في مخالطة الناس ويبتلي الله ذلك التاجر المتغطرس بمرض عضال أذهب معظم ماله لعلاجه ولم يشف منه فلم يعد يشرف على تجارته فأهملها أولاده وانحرفوا ليضيعوا ما تبقى من أمواله في طرق ملتوية حتى أفلس نهائياً وأخذوا يعملون في أبسط المصالح ويكون السجن والمحاكم مآلاً لأكثرهم ، فرأى حسراته بعينه أما أخوه فبارك الله له في أولاده وفتح لهم أبواب الرزق والعمل على أوسع مصراعيه فضرب بهم المثل في التقوى ، والأخلاق الحميدة ، ومع ذلك فلم ينسوا حق الرحم لعمهم وأولاده رغم جحودهم السابق لها .

حول الهجمة الأوروبية على المغتربين العرب

تتزايد الشكاوي ويتصاعد التذمر والتألم من شدة مضايقة الشعوب الاوروبية للوافدين والمغتربين العرب الذين يساهمون في بناء نهضتهم بعرقهم وكفاحهم وجدهم فتارة يقتلونهم وأخرى ينهبون ممتلكاتهم ، فخابت آمالهم وتبددت أحلامهم وظنونهم بان هذه الاوطان البديلة هي جنة الفردوس المنتظرة ، ليعلموا حقيقة أن الوطن لا يعدله شيء وأن الأهل لا يوزنون بشيىء في الحياة ولو جاروا وظلموا وقصروا . ولتعلم الانسانية كلها أن الشعوب العربية ومهما افتقرت هي شعوب حضارية خلوقة تؤي الغريب والاجنبي وتحترمه وتساعده على قدر إمكاناتها وهي شعوب مسالمة شجاعة أبية لا تعرف الجبن ولا الدناءة ولا الإنتقام حتى من العدو في ساحات الوغى .

ولطالما عيرنا الغرب بداحس والغبراء وهاهم يصنعون ألف داحس ومليون غبراء فتظهر تفاهات الكثيرين منهم وبدون عذر وفي هذا القرن العشرين ليقتل لاعب أو يهدد بالتصفية هو وذويه وصحبه إن هو أحرز هدفاً لصالح فريقه ، لا بل أن كثيراً من المباريات تشترى ويتعاطى بعض اللاعبين أدوية ممنوعة ومحرمة دولياً ، فأين نزاهة اللعب وروح الرياضية المحضة ولذة الأداء الطبيعي ؟، إنها شريعة الغاب واقتناص المجد والسمعة والرياء إستحلاباً واستجداء وقد تكون نهباً وقسراً .

ولم يقف الأمر عند هذا الحد بل أخذت مصانع أوروبا ترسل للكثير من الأقطار العربية مواد غذائية وحيوانات مريضة موبوءة بدل أن تذهب بها إلى المحارق والمزابل والمدافن والمصحات البيطرية ، لا بل تسعى إلى دفن مخلفات مصانعها النووية والكيماوية في أعماق صحاريها وبحورها.

ولابد للأعين المخلصة من درء هذه التحديات الخطيرة والإقلاع عن الغش وتقليد العدو في خلطهم السم مع الدسم وتعليمهم لنا خيانة الإنسان لأخيه الإنسان وقتله إياه خسة وغدراً وبأنانية ولأحقر الأسباب ، فهذه الهرمونات التي تحقن بها الخضروات والفواكه والأعلاف وتلك المواد التي توضع على قشرة الفواكه الخارجية لتنضج بسرعة وتسارع غير طبيعي كنقطة زيت على قمع حبة تين فتنتفخ خلال ساعات ولتباع بسعر غال مرتفع ويكون الثمر بلا لذة أو نفع بل قد يكون ضاراً مؤذياً ، ان ذلك لخيانة وغش وخداع .

ولنذكر أبناء الأمة مغتربين أو على ترابه خاصة ممن لديهم ثروات يمكن الافادة منها ان نفع بني أمتهم لهو واجب إنساني يباركه اله تعالى ويأجره ويسد رمق الكثير من الجوعى والعاطلين عن العمل اذا ما استثمروها في بلادهم وأوطانهم وأن كل ما يجمعون لا يساوي معضلة تواجه أحدهم في ديار الغربة أو لحظة ادخال فرحة لأحد ابناء الوطن يتلوى جوعاً وعطشاً وعرياً لا يجد ما يعمله الا تلك الفرص التي يسرها الله له بسبب ذلك الإنسان الإيجابي ، وأن حفنة دنانير اذا ما تعددت الأعمال المقامة بها فإنها ستلتقي وتجتمع ويبارك الله فيها .

إلى هواة العناد والمكابرة

طالت المجاملات بينهما وتبادل الهدايا حتى دب الخلاف بينهما واستشرى وغذاه الحساد وأهل الشر ، شياطين بني البشر ، فما إن ظللت أشجار أحدهم على الجيران وأينعت ثمارها حتى اجتثها صاحبها ذلك الجار السيء البخيل كي لا يستفيد منها الجيران . بينما ثقب جار آخر فتحة في الجدار لتخرج منها أغصان تتدلى نحو الشارع ليأكل المارة منها وتزين الطريق بأجمل وأبرك المناظر فإلى مرضى النفوس والقلوب الذين تصم آذانهم وتعمى عيونهم وتموت قلوبهم وتدفن ضمائرهم تحت صدأ البخل والجبن والخوف نقول ما قاله المثل الانجليزي : ليس أحد أشد عمى من أولئك الذين لا يريدون أن يبصروا ، وليس أحد أشد صمماً من اولئك الذين لا يريدون أن يسمعوا ، رغم علمهم بانهم هم على خطأ وغلط وغيرهم على الجادة الصحيحة والحق . وكثيراً ما يكون الاخرون قد ضحوا من أجلهم فكافؤوهم بنكران الجميل قالت لها إحدى صديقاتها المخلصات : انت التي جنيت عليه وعلى نفسك فبدل أن تضطريه الى متابعتك وفي ذلك اذلال له وفضيحة لك ، ولو أن الحب الصحيح هو وشام للشرفاء ، فلو اقتربت منه ولو قليلاً لما اضطرم قلبه ناراً ولوعة وهياماً بك وانت بذلك تقتلينه ، أو هكذا يكافئ المحبوب من أحب ؟ حرام عليك ولترحمي عذابه وسهره والامه فقد أصبح الآن جزءاً منك ومعدوداً عليك مهما كتمت حبك له ، وسيأتي عليك يوم تتعلقين به أكثر مما تعلق هو بك ساعة انفجارك بحبه كما كان هو قد انفجر من قبل ، رغم رباطة جأشه وأخلاقه فالحب ليس ملك اليد بل هو قوة هائلة لا يقاومها أحد مهما كانت قوته وكما ان بذور الذل هي الطمع فان بذور القناعة والحكمة هي الحب وليس المال فلم يؤت لقمان حكمته عن مال بل كان رجلاً سكيتاً عميق النظر ، بعيد الفكر ، لم يره أحد يبول أو يبزق أو يتنخع ، وبذلك أوتي الحكمة والمنطق .

الله يرحم أيام زمان

يجلس تارة ويمشي أخرى متنهداً مستذكراً تلك الأيام الغابرة التي عاشها بين اقرانه ، معترفاً بأن قطار العمر قد أسرع نحو المحطة الأخيرة وأن لكل بداية نهاية وأن كل قوي سيضعف إلا القوي العزيز ، ولكن الإنسان السوي الإيجابي يبقى كالشمعة تحترق لتشع وتنير على غيرها حتى آخر لحظة من الحياة ، أما الذين ينزوون عن الناس ويتنكرون لصحبتهم ولا يستفيدون من فراغهم وطاقاتهم وجهدهم ويعشقون الكسل والجمود فهم كالجمادات بل أسوأ لأن من الجماد ما ينفع الناس كثيراً . فما بالك بؤلئك الذين يقدسون الذات ويعبدون المصالح والمنافع والأنانية ،ويعنون في كيل المدح والتملق للناس إزاء مكسب ولو كان سخيفاً عابراً يتزلفون لهم ويتذللون ، وعندما تنقضي تلك اللحظات المنفعية المصطنعة الكاذبة يتنكر المنافقون أصحابها ويمرون عليهم لا ينظرون اليهم أو يلتفتون ويخسّرون فيهم حتى رد السلام ، وإن حاول صاحبهم هذا تذكيرهم بما مضى لووا أعناقهم وأشمأزوا وتناسوا كل ما حدث ، مما يثبت أنه لا يدوم إلا العلاقة الصادقة الشريفة وأن كل إمرء يعمل بخلقه وأصله واحترامه لإنسانيته وعقيدته والناس أجمعين ويستذكر صاحبنا هذا أيام زمان يوم كان الشرف والصدق والحياء والقناعة والعفة والثقة بالنفس والغير والبركة وحب الخير للغير والسعادة الغامرة للناس كلهم وتعاونهم بما هو متيسر لهم وبين أيديهم رغم قلة وضيق ذات اليد ، وينعى على المستهترين والإباحيين تقليدهم للشرق والغرب في قيمهم وسلوكهم وأخلاقهم ليقول : أنظر إلى تلك الوردة الغضة أتراها باقية سليمة ينتشر شذاها وعبقها في كل مكان وتسر أعين الناظرين لو دغدغتها كل الأيادي التي تراها ؟، أم تلك المياه في حضن هذه الصفاة لو وطأتها كل رجل مرت عليها ، أتبقى قراحاً زلالاً أم تتلوث وتتعكر ويسوء منظرها ؟ وكذا حال شبابنا وشاباتنا اذ يجب عليهم التعامل بصدق وحذ واحترام وعفة وحياء في تفاعلهم وتعاملهم في كل ملتقى ومجال حتي ييسر الله لأي منه شريك حياته المناسب دونما خداع أو مناورة أو استدراج لأي هدف شاذ محكوم عليه بالفش والألم والخيبة والمأساة وتحطيم البيوت البريئة واستفحال الشر واحتدام القطيعة بين الأه والأصهار ، مما يورث البغضاء والعداوه والحقد القاتل بين الناس والاحبة فما الحمل الا يعاني الصدر .

محك الإختبار

لأكثر من ثلاثين عاماً كانت تضرب زوجها وتوبخه دون أن يأتي بحركة حرصاً على استمرار علاقتهما وصوناً لابنهما الوحيد من الضياع وحتى لا يشعر أحد بالأمر ، وتضربه ذات يوم بالسكين فتجرحه لتخيط جرحه بابرة عادية ، ويفرج الله كربه ذات يوم اذ يزوره قريب له ليسمع بأذنيه مالم يخطر على البال فيتصل بالشرطة ليسجنوها ويأخذوه وابنه الى مكان بعيد عن ذلك الموقع المشؤوم بتلك المرأة الشنعاء ، كان ذلك في اوروبا وفي أيامنا هذه.

تعجب الناس من ذلك كثيراً وتعجبوا من ذلك الذي قتل أمه فاخوانه فعمته وبطريقة خفية خبيثة حتى اكتشف أمره وذلك للحصول على مالهم وكي يبقى متطفلاً وبدون عمل . وكان ذلك في اوروبا أيضاً .

وفي مجتمعنا اليوم وللأسف غرائب وعجائب وطرائف ما كان يجب أن تكون فيه واذا كانت غريبة فالأغرب منها أن يكون بعض أطرافها من المتعلمين المعنين اكثر من غيرهم بعدم القبول بالمنكر والضيم والهوان ومعصية الله تعالى ، ولنتصور مثلاً آلاف الفتيات يقهرن ويدفعن إلى الإعراض عن الزواج كي يجني الأهل ثمار عملهن ولا يصحون إلا بعد أن يقعن في شراك العزوبية المتقدمة والبوار اللعين قالوا لوالدها : من حكم العرب : عليك بالأرزاق عند ازدحام الأقدام بالأسواق ولم يجعلوها من مهر أو تعب الفتاة ، فيحصل عليها بالكد والتعب الشريف وما تابع أحد شيئاً إلا ناله ، وما تزاحمت الظنون على أمر إلا كشفته ،إنكم تجنون على ابنتكم لعدم تزويجها . أما ما تقدمه لكم من نفع ومال فهو الرماد الذي تملؤ به بطونكم والزاد العفن الذي سيوصلكم الى غضب الله تعالى وكفاكم أن من يعرض عن الزواج هو أخ للشيطان معرض عن شرع الله وسنة نبيه (ص) . فادعى أنها تكره الزواج وجنس الرجال وكان محك الإختبار أن ذهب احدهم بنفسه ليخطبها فيرد عليه والدها : اقسم بالله ألا يتزوجها أحد ما دمت حياً ، فهي التي تصرف علينا ، وماذا سيجري لنا بعدها ، إن تزوجت فأين الرزاق الحكيم ، أيها الأب المسلم الرحيم ؟

أخسر التجارة هو قتل الأحبة

كانت نفسيتها محطمة تأسرها نار حبه وجبروت أهلها ، فتارة تقترب منه لتسعده وأخرى تبتعد عنه ليحرق بجفائها له فقالت لها صديقتها المخلصة ، لا تقتلي نفسك ومحبوبك ووقتك لتسرقك الأيام فتندمين ولا ينفعك الندم ، وليتك تجربين لقيا الأحبة وتكوين بيت يجمعهم وذلك ماتنشده مخلوقات الله جميعاً قال الشاعر :

كم طوى البؤس نفوساً لو رأت منبتاً خصب لكانت جوهرا .

اجتمع عجوزان بعد حوالي نصف قرن اذ حيل بين زواجهما كمحبوبين ولهين كانا يعيشان شبابهما في روسيا ، وتجمعهما الصدفة في مهجرهما الجديد بعد أن افترقت جثتاهما طويلاً ولكن قلبيهما لم يفترقا وكأن لسان حالهما يقول :

لو علمت أن الحكم يجمعنا لأغمضت طوال العمر أجفاني .

فتعانقا وتبادلا القبلات الحارة الدافئة جداً المفعمة بالحيوية والحب العظيم كأنهما شابين فتيين يعيشان حباً جارفاً ، ولم يعبئا بكميرات التصوير المسلطة عليهم أبداً.فلا تغضبي من محاولاته أن يصلك وبأية طريقة مشروعة . فالحركة وان أزعجت الغير وأتعبت صاحبها فهي دليل الحياة والوجود والحيوية وعكسها فالسكوت هو الجمود ودليل على الموت والتعفن والركود . وصحيح أن الصمت في موضعه أبلغ من الكلام ولكن ملازمته دوماً لهو إماتة لحاسة مقدسة وهي النطق والتعبير .

إن أفدح التجارة وأخسرها أن يقتل محب قلب من أحب وتعلق به مستجيباً لهاجس الخوف والقلق والحيرة ، وهمز هذا ولمز ذاك ، وان امرءاً تعلق بمن أحب سنين طوال لهو صادق شريف أمين يستحق التضحية من أجله بكل شيء ، ولن يعيبك أحد أن وقفت معه وتاجرت فيه ، وعلى العكس من ذلك فستكونين لعنة المحبين والشرفاء أن تركتيه يعاني اللوعة والحرمان والبؤس والبكاء عليك ، وأن من أعيب العيب أن يكون المرء عاجز الرأي والحيلة والتد بير واتخاذ القرار .

وعاجز الرأي مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا .

فلا أظلم من امرءٍ أعرض عن أمر الله وقضائه وقدره ، وإن من سنة الله وشرعته الزواج

والتمتع بنعمته ومهما كان عمر الإنسان وظرفه وعمله ورزقه ، فالله كفيل وضامن لمن قصده وسار على منهج وطريق رسوله الكريم (ص) ، الذي أكثر من ذكره منافعه ومن ذمه وإنكاره للتعنس والإعراض عن الزواج تشبهاً بالكفار والطغاة والعاصين .

في الوقت الذي وصل العلم فيه ذروته بالنسبة الى الاعصر السابقة اذ وصلت مخترعات بني البشر الى حد تقني رفيع كالتعامل مع القمر وعدد من النجوم والكواكب وأعماق البحار ، ولكن التفاعل مع بني جنسه بات يتضاءل ويتراجع ولم يحقق طموحات المساكين والفقراء والمظلومين والمشردين وهذا هو التأخر الحضاري الرهيب المفزع ، فلو نظرنا الى الخلية الأولى البيت فالقرية فالمدينة فالمؤسسة ... الخ فيما بينها أو مع غيرها لوجدنا عدم الثقة والاخلاص والتعاون وهذا ينعكس على كل أوجه النجاح المتوقع بدءاً من البيت العادي ونهاية بأمم البشر عامة .

فلنتصور أن امرءاً يخون أخاه أو شريكه أو من كفله ليقع فاعل الخير ، أو عنصره في شرك الدين والمسؤولية فلا يكاد يؤمن طعام أطفاله أو أجرة مسكنهم ، وتجد بعض الدول تتباهى بوصول إيرادات شبابيك دور الخيالة (السينما) إلى المليارات وكذلك محلات الخمور والدخان والمسكرات بل والمخدرات الممنوعة دولياً إلى جانب ما تنتجه مصانع الدول المتقدمة من أسلحة الموت والفتك والدمار والتي ترهق خزائنها وتحدث أضراراً مادية وبشرية مذهلة وتكون على الغالب ضحيتها الشعوب الفقيرة المتأخرة لتزداد ويلاتهم ومعاناتهم وتأخرهم وجهلهم .

وتشير الإحصاءات العالمية إلى وجود مليار فقير وجائع في العالم منهم ٧٥٠ مليوناً في الدول النامية ومليارين يعانون من سوء التغذية أي أن واحداً من بين كل ستة أشخاص ينام جائعاً وأن اثنين من بين ستة حالتهم الصحية سيئة ، وأن عدد اللاجئين في العالم عشرين مليوناً بمعدل ١٢٥/١ شخصاً وعدد المصابين بالأيدز ١٤ مليوناً أعمارهم ما بين ١٥ - ٢٤ سنة وأن مبيعات التجارة العالمية ٣٠٠ مليار دولار .

ونلاحظ في الوقت نفسه ازدياد الكوارث العالمية من حروب ومآسي وصراعات تغطي الشرق والغرب والشمال والجنوب في هذا الكوكب الذي اختاره الله تعالى مسكناً لذرية آدم وحواء حتى اليوم المقدر للحساب ونلاحظ ازدياد الكوارث الطبيعية من زلازل وبراكين وحرائق غابات وفياضانات وجدب وتصحر وجراد وغرق لمن يذهب متمتعاً بالسباحة في عرض البحر هنا وهناك ومن الغريب ذكره أن اعداداً كبيرة من السباحين الأستراليين الذين يسلمون من

سمك القرش الذي يلتهم الكثير منهم وخاصة الذين يدفعهم أصحاب الزوارق الخفيفة كي يبتعدوا عنهم لئلا يثقلوها فتغرق أما من حانت منيتهم فتسحبهم مياه البحر إلى سواحل دول أخرى وكأنها تأبى جمود بني البشر وتقوقعهم وأن عليهم التعارف تحت الثرى ، فهذه استراليا تبيد ملايين الغزلان والأرانب والببغاوات كي لا تتكاثر وتفسد المزروعات والأشجار فليتها تتعاون مع بعض الدول الكبرى لتصدر لحوم تلك الحيوانات والطيور المبادة إلى شعوب تموت جوعاً أو تأكل أخبث الحيوانات فمثلاً تشير الدلائل إلى موت ٥٠٠ فيتنامي سنوياً من عض الكلاب المسعورة التي يتناولون لحومها .

الذي لا يعرف الصقر يشويه

يحكى أن زعيم قبيلة كان يملك صقراً فريداً من نوعه مهارة في الصيد . وفي احدى الأيام افتقده ، إذ علق بشجيرة شائكة على ربوة عالية ، فأخذه سفيه فذبحه وشواه . فعلم رجل حكيم بذلك فقال : الويل لكم ، إن الذي لا يعرف الصقر يشويه . ولو تركتموه لملأ بيوتكم صيداً ومتعة .

وعندما تألب عليها الحساد وفضحوا حبهما عاتبته لعدم تمالكه نفسه وإفصاحه عن حبه الشديد لها فقال لها : لا تعتبي على قلب يتأجج ناراً متقدة لمستها قطرات رحمة أو نسمات باردة جادت بها محبوبته ، فهي تزيده اشتعالاً ،وتأججاً ، ولا يهمنك شرار القوم سباع الغابة فهم النار فيها خبث الوقود تأكل بعضها بعضاً وهم يزرعون بذور الكبت والحرمان والكيد والظلم الاجتماعي في قلوب أصدقائهم وأقرب الناس لهم ، والويل لمن يحرق القلوب المعذبة ليفصم عراها ، وان الله مع المعذبين وشرفاء بني البشر والمغلوب على أمرهم عندما ينفضون الأتربة المتراكمة التي تخنقهم من أخمصهم حتى رؤوسهم وشعورهم فيتبرؤون من تلك الصداقات الضارة الخبيثة التي تمضي الى بيوتها ويبقى الأحبة وحدهم ساهرون معذبون .

فعلى الأسوياء وضع الناس في مكاناتهم اللائقة بهم ، قال الشاعر :

اذا أنا لم أمدح على الخير أهله ... ولم أذمم الجبس اللئيم المذمما

فقيم عرفت الخير والشر باسمه ... وشق لي الله المسامع والفما

والحقيقة التي لا تخفى على أحد أن سنة الحياة اقتضت أن يكون تفاعلاً أبدياً بين الخير والشر ولكل منهما جنوده وأعوانه ، فالرذائل والمآسي بأنواعها هي بذور الشر ، أما

الخير فبذوره السير على هدى الحق والاخلاق الحميدة ، وحب الخير لكل الناس والعدل ، فالحب نار تحرق جوف الصخر الصلد وتفل بواطن الحديد الأصم وتجفف أعماق المحيطات والبحور لتحرك مكانها وبواطنها خيراً وبركة ويمناً . أما الشر فيلد الكره الذي يعكر الاجواء ويلوث هواء المحبة والسحب الرطبة المدرارة فتخنق كل من اشتمها فلا تبقي ولا تذر أحداً .

ويبقى القول ان الحياة ساحة اختبار تسجل فيها الوقفات والسلوكيات والاخلاقيات فهنيئاً لمن كانت صحائفه بيضاء الا من عمل الخير واسداء الحب والمعروف إلى الناس قال الشاعر :

دقات قلب المرء قائلة   إن الحياة دقائق وثوان

يشقل الناس لومهم القدر وسبه والتذمر منه اذا ما أصابهم ضر ، وينسون أو يتناسون أن مفكري الأمة ومنذ مئات السنين قطعوا شوطاً بعيداً في النقاش والجدل في هذا الباب ليستقر الرأي الفصل على أن ما حدث من ضرر بغير اهمال او تعمد او قصد فهو قدر ولمن رضي به الأجر والعوض من الله ، أما ان كان الانسان هو السبب في ذلك من إهمال أو استهتار فان ذلك من صنيع الشيطان .

فهل السرعة الجنونية قدر أم جنون ومراهقة محمومة ، وهل أطلاق النار في الاعراس رجولية أم جنحة قاتلة ذميمة ؟

لا بل أن بعض المراهقين يوظف قوته ونشاطه في طاقة ايجابية هائلة كخوض المعارك وتقديم الخدمة بقوة وحيوية وتضحية للغير وكم من فارس مراهق كان ايجابياً فحمى الذمار وذب عن الارض والعرض ، وكم من فارس مراهق كان رعديداً جباناً يختال أمام البيوت والنساء واذا ما حان وقت مقارعة العدو أطلق ساقيه للريح هارباً فالانضباط والثبات هو الشاهد والمقياس لقيمة المرء وانسانيته لا الرعونة والطيش والجنون ، فلرب صدفه غيرت مصيراً ، والصدف هي لواقح القدر ومزنه . أحب احدهم فتاة ليستمر خمسة اعوام يذوق خلالها المر والعذاب لمقاطعتها له وجفائها إياه وعندما اوشك على الموت صارحت أهلها بحبه فرفضوا ذلك وتوعدوها باشر العقاب ان كلمته سوى مرة واحدة وتأمره بالابتعاد عنها نهائياً وعندما رأته في الطريق أوقفت سيارتها حذاءه لتقول له :

امرني اهلي أن أقطع عذر الحاحك وإصرارك على مقابلتي والتحدث معي ، على أن أكلمك مرة واحدة ، فقط لأزجرك وآمرك بالإبتعاد عني وللأبد ، ولن أكلمك بعد الآن ابداً الا أن يأذن لي أهلي ، كما أني أعاهدك بفاطر السموات الارض ألا أخونك أو أتزوج غيرك أبداً ، وألا أنسى حبك ما حييت ، فلا عاش من قتل حباً بريئاً لمن كان وفياً له ولسنين طوال .

ويصحو والدها يوماً على (هذيانها) وهي نائمة وهي تذكر اسم محبوبها ، فيرق لها قلبه رغم قسوته فيقول : صدق من قال بأن جذور الحب لن تموت فهي حية في الوجدان والضمير لكل شريف شرفه الله بالحب البريء ، آه ، إنه الحب ، وسأقف معك يا بنيتي باذن الله .

أخطاء جسيمة

تتدفق الدماء من جسدها البريء فيجد الناس فتاة ، أخرى أغلق فمها تمهيداً لقتلها ذلك السائق المجرم المنحرف في احدى البلدان الأوروبية الذي أودعته أمه في دار رعاية الايتام فاغتصبه المسؤول عنها وما أن ترك المكان حتى تسارع في انحرافه لينتقم من كل طفل وعلى كل أرض يدنسها بقدميه فيستدرجهم ويغتصبهم ثم يقتلهم .

لقد كان ذلك ثمرة لخطأ فاحش وهو تولية رعاية ذلك المكان الى مسؤول مجرم منحرف ولم يتحر شأنه أحد حتى أدمن في جرائمه البشعة ، وذلك الطبيب الذي أخبر مراجعه بانه لا يستطيع الانجاب وما لبثت امرأته أن انجبت فشك بها وطلقها وما أن ذهب ليفحص نفسه من أجل زواجه الجديد حتى أخبره الطبيب الجديد بأنه قوي وأهل للإنجاب فسارع الى ارجاع زوجته الاولى التي أودعت ابنها باسم مستعار للتخلص منه في دار رعاية الايتام فأعاد ذلك الطبيب للأذهان أولئك الذين يحللون الدم والبول والبراز وغيرها من المواد المتعلقة بالانسان ليكسلوا أو يهملوا في اجراءات التحليل فيعطعون نتائج غير دقيقة وقد تكون إشعاراً للولادة أو الحمل لرجل فشر البلية ما يضحك . وذلك كالمتنبىء الجوي الذي يصنع النتائج والتنبؤات من محض مخيلته دون قراءة لدرجات الحراره العادية فتكون النتائج غير دقيقة فيحرج الراصد وتخيب ظنون الناس ويحنقون عليه .

ومن الأخطاء مقاطعة الغير لعدم الترو ومراعاة ظروفهم وقراءة قسمات وجوهم بحذر وإعذار وكذلك عدم قبول تبريرهم لأي تقصير في أداء حق أو مشاركة فلكل ظرفه وطاقته والمهم هو إبداء العذر وبشاشة الوجه ، فالصادق يصدق الناس ويصدقهم أما الكاذب فيكذب الناس ولا يصدق أحداً قياس على طبعه وعادته .

ومن الأخطاء الكبرياء والتمادي في الغي واحتقار الغير فذلك الملاكم الذي اشترى خصمه الوهمي وبعد فوزه ادعى قوته المطلقة ، فانسل من بين الجمهور رجل غليظ أنهال عليه ضرباً وركلاً حتى أوجعه وأسقطه أرضاً بالضربة القاضية ليكشف حقيقة أمره وخصمه وأن فوق كل قوي من هو أقوى واكثر حيلة وأشد بأساً منه ، وأنه يجب احترام النفس والغير والتواضع لله اذا ما نجح الانسان في فرصة ما وأن ينأى بنفسه عن الإهانة والتحرش بالغير كي لا يستمرىء الإهانة .

فمن يهن يسهل الهوان عليه وما لجرح بميت إيلام .

ومن الأخطاء التهاون بالامور ورمي الكلمة أينما وكيفما كانت كمن يرمي القشور والنوى في قارعة الطريق فكثيراً ما سقط منها بريء عجوزاً كان أم صبياً ذكراً أم أنثى ، وأخطاء جسيمة يمارسها الانسان بجهله وأنانيته قد يدفع هو نفسه أو أقرب الاقربين ثمناً باهظاً لها بعد فوات الاوان .

من توكل على الله كفاه

كانت زوجته فاجرة ، يصبر عليها كمن ينام على نار ، احتساباً لوجه الله تعالى ، فقالت له ذات يوم : إن لم ترجع لنا بشيء هذا اليوم ، فلا تريني وجهك ، فخرج ملهوفاً ، ولكنه لم يجد شيئاً ، واستمر على ذلك أياماً ، وكان كلما أجهد من البحث عن عمل ، أكمل يومه في الصلاة ، وعندما تسأله زوجته عن النقود ، يقول لها : عملت مع من لا يضيع عنده شيئاً ، فاستحيت أن أسأله الأجرة فقالت له أخيراً : إن لم تأتينا هذا اليوم بشيء فلا تدخلن علينا البيت أبداً ! ..

فلم يجد شيئاً فعاد حزيناً ، فوجد أدخنة تنبعث من البيت وقدراً مركباً ، فسألها عن ذلك فقالت : بعث به من عملت عنده . فوجد أكياساً من الذهب ، فأخبرها القصة من أولها، فارتعدت وعادت إلى الله تعالى .

فالتقوى والصبر والثبات للمرء كالجدران في الدار ، وبعدد أحدهم صفات المرء الذي يحب فكان من بينها الأمانة والصدق وحسن الإسم والأمل الحسن والكرم من الفضائل والبخل من الرذائل فالحرص قائد الحرمان .

وعندما احتارت في أمرها فهل تقف مع من طلب يدها متحدية الأهل والأصدقاء ، أم تبقى على وضعها المأساوي لكبر سنها فلا تتزوج ، فقالت لها امرأة صالحة : أنظر الى ما اختاره خالقك لك وحلله وتوكل عليه تنالين بركة الدنيا وثواب الآخرة ، فكم من بيت تقي فقير نما الله ماله القليل ليصبح كثيراً جداً ، فالتقي ينمي الله ثروته ويبارك له في كل شيء كما ينمي الروض المبارك ، أما الشقي ، فيمد الله له الحبل كمجاور لبحر بنى بجانبه بيتاً أثقل أسقفه وتهاون في أسسه فكانت المياه تضرب أسفله وتحته حتى أنهار بمن فيه في أعماقه فلتضع يدك في يده وتعارك الحياة ففي ذلك أجر لأن العمر محسوب على المرء وسيسأل عنه يوم القيامة ، قال ابن الجوزي ينصح ولده : إعلم يا بني أن الأيام تبسط ساعات ، والساعات تبسط أنفاساً ، وكل نفس خزانة ، فاحذر أن يذهب نفس بغير شيء ، فترى في القيامة خزانة فارغة ، فتندم .

بطاقة تهنئة لجمعية تنمية وتأهيل المرأة الريفية

برعاية سمو الأميرة عالية بنت الحسين حفظهما الله تم صبيحة الاثنين ١٩٩٤/١١/٢٨م حفل تخريج فوجين من طلاب جمعية تنمية المرأة الريفية الاردنية ، وتقديم جوائز للأوائل منهن .

والمتأمل والمتابع لعطاء هذه الجمعية الخيرة وروعة ورفعة أدائها ليقدر ويثمن عالياً جهود القائمين عليها ، فهي ومنذ تأسيسها في الثلاثين من تشرين الثاني عام ١٩٩٠ م وفي عدة أماكن من أردننا الحبيب قامت بأعمال انسانية رائعة رائدة مثل تدريب وتأهيل المرأة الريفية والبدوية على العديد من المهارات والحرف اليدوية والتقليدية وتدريبهن على تصنيع المنتجات الحيوانية بشكل سليم صحي وهي بذلك توفر لهن فرص عمل شريفة نافعة وكذلك تشجع على حفظ تراثنا الماجد وحرفنا اليدوية التي تبعث في النفس معاني المحبة الخالدة والانتماء الى عروبتنا وما صنعه الآباء والأجداد قديماً سوى ما توارثوه هم أيضاً مما قبلهم ونقلوه لنا ونحن ملزمين بحفظه ونقله لمن هم بعدنا . وقامت الجمعية وتقوم بمساعدة المعوزين والعاطلين عن العمل . وكذلك للطلاب وللحالات الطارئة في المستشفيات كالعمليات الجراحية وتقديم كراسي للمقعدين وماكنات الخياطة للفتيات والعاملات . الى غير ذلك مما يوفر فرص عمل للعاطلات عن العمل او ممن لم يحالفهن الحظ في اكمال دراستهن الاكاديمية أو غيرها ، وبذلك تساهم الجمعية تلقائياً في الحد من الهجرة من الريف الى المدينة وتعزز ثقة المرأة والفتاة الريفية أو البدوية في نفسها لتكون وبجدارة أما سوية تسعد زوجها وأطفالها وتغمرهم بالحب والعطف الدافئ ، فلا سعد بيت لا عطف فيه هذه الصفة الخلابة و الرحمانية الرائعة .

ولذا فان الجمعية سعت أيضاً الى فتح دور حضانة لايواء أطفال النساء العاملات والتخفيف من قلقهن وعذاب أطفالهن .

ونحن اذ نثني على تكريم الاميرة الهاشمية لهؤلاء العاملين والمجدين في هذه الجمعية والمحسنين ، فنقدر وكل مخلص في هذا الوطن ، لهؤلاء جهودهم ، فأنا نهيب بالمحسنين ان يكثروا من مساعدتهم ودعمهم لهذه الجمعية كي تتوسع في خدماتها وعطائها الميمون .

مكافأة للأمناء

اجتمع المهنئون على باب قصر السلطان ليذكر أحدهم أنه كان قد خدم هنا منذ فترة طويلة وأنه يعرف فلاناً وعلاناً . فاستدرجه أحد الواقفين ليسأله عن أماكن خاصة ، فزجرهما أحد السامعين ليعتبر ذلك افشاء سر وخيانة للسلطان والوطن وكان يسمع كلامهم أحد العسس فنقل كلام الرجل الغيور الى السلطان الذي حاول مكافأته فرفض الرجل معتذراً مبيناً أن هذا واجب الشرفاء الأوفياء ، فسجل اسمه في سجل الشرف الخاص ، وبعد سنين مضت تمر عليه أسماء الجند ليكون بينهم اسم ابن ذلك الرجل الشريف فطلبه السلطان واختبره فاذا به رجل نبيل فطين فالحقه ببلاط السلطان اكراماً لوالده الأبي . ليعرف الناس أن الملك لا يتأتى بالراحة والاهمال والافراط باللذة ولا يحمى بذلك بل بالسهر والكد والعين اليقظة الحذرة ومكافأة الشرفاء وبرهم وإشعارهم بأنه بالإضافة إلى واجبهم نحو حفظ وطنهم ومكتسباتهم فإنه لابد أن يأتي اليوم الذي يحين فيه قطاف ثمار وقفاتهم . وأن دليل الوفاء هو الاخلاص والتضحية التي هي رمز الحب والحنان الخالد وأحمد الوقفات ومن خطب الحسناء لم يغله المهر ، وأن الشرفاء أباة يسدون الخير والنصح نشوة في دمهم ومروءة في وجدانهم لا يعرفون الكلل أو الملل لأن أتعب التعب ألا تجد ما تفعله ، ولكنهم يفعلون الخير وينأون عن الشر ، يمشون بين المعاضل رويداً وبحكمة ودراية فيكونون على رأس سلم المجد أولاً ، يخوضون غمار الحياة بثقة وعزم وأمان وأمن لما عاركوه من تجارب وحركة مستمرة دائبة فلم يسخر لهم الفكر والدراية عبثاً فان السفينة لا تمشي على اليبس .

يقسم لها بالله العلي العظيم أن كل ما وصلك ضده هو كذب ونفاق وحسد لك ولمحبويك ، وأن شر ما يكسب الانسان ما يصم ، فأنت ملأت عقلك ووجدانك بإشاعاتهم وأغلقت كل النوافذ دونه وهو المخلص الوفي لك وفعلاً أن النفيس غريب حيثما كانا وعليك

أن تعذريه إن تجشم في وجهك ولم يستطع مبادلتك ببسمة حانية تشع حباً وشوقاً من قلبه الباكي المعذب ، فكيف يضحك من سدت الفرج كلها أمامه خاصة من محبوبه المتوقع والأمل المرتقب ولكل خافقة سكون ؟.

فذهلت الفتاة من قول ذلك الصديق قصير اللسان الذي لا ينتبه له أحد كونه مسكين متواضع فقالت : فعلاً إن الرجال ليسوا بالمناظر أو المظاهر فوالله لم أسمع ما قلته من غيرك فلنعم الصديق الوفي أنت ! وبشره أني سأقف معه لتتغنى الدنيا كلها للوفاء والأمانة وأحمد الصفات أما أصدقاء السوء ، فلهم الخيبة فهم كاكياس الفحم مهما كثرت فلن يخرج منها ملعقة طيب أو شهد .

في عيد الأضحى المبارك

في هذا اليوم الفضيل وبعد انقضاء صلاة العيد المباركة تذبح ملايين الأضاحي في كافة أنحاء المعمورة وتستهلك مئات الآلاف من أطنان الحلوى وتتداول الالاف من الملايين من الدنانير أو ما يوازيها من عملات متعددة في كافة أنحاء العالم كمصاريف لتكلفة حفلات الأعياد المباركة ، وفي ظل هذا كله يموت الملايين من المسلمين كل عام من الجوع والجهل والحروب سواء بين المسلمين فيما بينهم أو مع غيرهم .

والعيد في مفهوم الاسلام هو فرحة الشعور والرحمة والمسامحة ومد يد العون للمساكين واليتامى والفقراء والمعوزين وتناسي الاحقاد وطي صفحات النزاعات .

ولا يمحو مآسي الأمة كلها سوى رجوعها الى تعاليم عقيدتها الغراء وعودتها الى حضيرة دينها السمح والذي سادت به أمم الارض رغم كون حملة رايتها آنذاك حفاة عراة عزل ، وعندما تركوها اصبحوا فريسة سهلة لاعدائهم رغم كثرتهم وامتلاكهم أهم ثروات المعمورة وهو النفط . ولكن الجري وراء حضارة العدو فانه كالمستغيث من الرمضاء بالنار وبهذا ذلت الأمة وأصبح الكثير من أبنائها حيارى وكأن لسانهم يقول : رب عيش اخف منه الحمام ، فالحيرة هي موت نفسي للانسان وهي صممت المبادىء القاتل فالصمت ان ضاق الكلام اوسع ، والكلام الهدر والهذيان والنيل من أمجاد الأمة وحضارتها وتحميلها مسؤولية تراجعها لهو ظلم واجحاف واجرام .

في عيد الأضحى المبارك علينا أن نتذكر حسن الخلق ومحاكمة النفس للنفس وحبس اللسان فرب شرارة أحرقت قلوباً أو دياراً وكما قيل شرارة تحرق حارة وعلينا التحلي بخلق الآباء وهو الصبر والقناعة بما تيسر فالسعادة ليست بالمادة بل بالرضا وهدوء البال وقبول أمر الله وكم تبجل امرءاً فقيراً عليلاً لا يكاد لسانه يترك ذكر الله وعندما تتعجب أمامه من ذلك يقول لك : ربما صحت الأجسام بالعلل . ورب ابتلاء دفع ما هو اعظم وأشر وأشد منه . وعلينا أن نتذكر أن الاسلام هو الحياة وعدم موت الضمير وتحليل كل شيء للنفس وتحريمه على الغير فالاسلام قانون الله وليس عجينة نخبزها كما نشاء وفق رغبتنا فنزيح النار كل على قرصه وتبع هواه . فنحرم الربا بينما نزج بأكياس الذهب في المصارف الأهلية والأجنبية وبينما تضرب البطالة بأطنابها في كل شبر من أرض الوطن .. فأين نحن والإسلام ؟

ويطارد بعض أبنائنا وقد يقلدهم بعض كبار السن فتيات الغير بينما يحرمون فتياتهم من الزواج الشريف ويحرم عليها طرح أو رد السلام وحتى على أشراف الناس بحجة الغيرة وعدم الوقوع في الحرام وهدفهم كله حبسها حتى آخر لحظة من الحياة لتكون بقرة سائغة يحلبونها باستنزاف حتى دم ضرعها وتلهيهم أموالهم ومناصبهم عن مجرد طرح السلام على جيرانهم وأقربائهم ويتقوقعون ولو أحرقت النيران بيوت معارفهم وأصدقائهم وجيرانهم لما فزعوا بإبريق ماء أو تلفظوا بمجرد كلمات للسؤال والاطمئنان عن أحوالهم . ولو دارت مذابح ومآسي لصق جدرانهم لقالوا : بعد الشر ، فخار يكسر بعضه ، فهل لمثل أولئك عيد ؟.

حول مؤتمر الشباب والأسرة

في مؤتمر الشباب والأسرة الذي عقد في عمان مؤخراً تحت رعاية سمو الأميرة رحمة بنت الحسن في مبنى جمعية الشابات المسيحيات ، وشاركت فيه عدة فعاليات ذات خبرة ودراية بما يمس أهم خلية في المجتمع وهي الشباب الذين هم عماد الوطن .

ونحن اذ نؤمن ونردد مقولة القائد الرائد جلالة الملك الحسين المفدى : الانسان أغلى ما نملك ، فإنا لنؤكد أن القيم والاخلاق والتعاون الفعال هي أعظم بذور عزتنا ورفعة شأننا ، لا المال وحده أو العلم بمفرده أو الجري الأعمى الأحمق وراء قشور حضارة الشرق او الغرب ، فإلى الذين يسخرون من مصائب الناس وبلاويهم كذلك الذي شكى بلوته اذ دفـع قاتلـو ابنـه (شيكاً) مزيفاً دية له فانفجر الناس ضاحكين عليه وهو يكفكف دموعه ألماً وحسرة ، أو أولئك الذين أخذوا يقهقهون عندما دخل بعض المشاهدين في ندوة وهم يلبسون الزي العربي ، فمتى قيست الحضارة باللباس أو الهيئة أو المظهر؟ ولبئس المرء يتنكر لمن أحب وغمره بالعطف والحنان ، أو لمن تنكر لعروبته وعقيدته ! ولقد كان ذلك اللباس لباس آبائنا واجدادنا وفرساننا وقادتنا ، وكما لا يليق بنا أن نقدح في حضارة الغير أو مكتسباتهم الانسانية فمن باب أولى ألا نكفر بحضارتنا وتراثنا العريق ، وعلى من يمضغ الماء مجتراً بذم عروبته أن يعتز بها وأن يسعده لفظه أن لم يسعده حاله .

وعندما تغرس الأسرة في أطفالها فشبابها حب عروبتها وتسير على ما سار عليه آباؤنا الذين كانوا يحترمون إنسانية الإنسان مهما كان عمله أو ظرفه المادي فعندها ستنجح أسرنا وتسعد وتتكاتف في بناء وطن حر قوي عزيز كما أراده الحسين المفدى حفظه الله .

من الحكم

قسم الله العقل كما قسم الأرزاق

قالوا : كما قسم الله الارزاق فانه قسم العقول ، ولكن عليك الأخذ بالاسباب لرعاية وتنمية هذا العطاء العظيم الذي يباركه خالقه وينميه ان أحسن صاحبه التعامل معه بدقة وأمانة ودراية ، ومن هنا تنبثق كل اسباب النجاح فيكون الإنسان السوي صاحب العقل الراجح سعيداً إيجابياً قانعاً راضياً عاملاً بصمت وشرف وإباء ، وإلا فإن كنوز الدنيا كلها لا تملؤ بطنه وأن بسمات الوجود كلها لا تسمح نيران قلبه الممتلىء كيداً وطمعاً وجشعاً ونتناً .

تعود شحات طرق باب رجل صالح فقير كان يعطيه ما يجده عنده ، وفي أحد الأيام طرق بابه وكان في بيت الخلاء فتأخر عليه فشتمه ولعنه فتألم الرجل الصالح واشتكاه لله ليحكم بينهما .كان ذلك الشحات يتعامى عندما يتعامل مع الناس حتى إذا خلت له الطريق انطلق كالعفريت ، وفي ليلة جاز له التسول فيها فطرق أحد الابواب مغلقاً عينيه يتحسس الجدران فسقط ثعبان كان على جدران البيت في يده فلدغه فقتله وعندما أحصوا تركته وجدوها تفوق كثيراً من تركات أثرياء تلك البلدة ، فماذا كسب هذا الرجل ؟ وماذا هو قائل لربه عن وقته وحاله كيف تصرف بهما في حياته ؟ سيما أن الوقت أغلى من الذهب نفسه . ينصح أحدهم ابنه :إجتهد مادام في الوقت سعة ، واستق غصنك مادام فيه رطوبة ، واذكر ساعتك التي ضاعت فكفى بها عظة ، ذهبت لذة الكسل فيها وفاتت مراتب الفضائل .

ويقول آخر :

قل للذي لم يفد خيراً بما كسب	يداه من ذهب هل فقت من ذهبا
ان رمت تنعم بالدنيا وبهجتها	فاكرم الخلق يكرمك الذي وهبا

ويقول آخر : يا من تود التلذذ بالحياة وتتنعم بالآخرة بإذن الله عليك أن تعمق جذر داليتك وأن تحسن ريها وخدمتها ، فتنفع بها نفسك وغيرك وتكف بأشغال وقتك في رعايتها لسانك عن إيذاء الغير وتمتع نظرك فما أوسع القلب الذي يتسع لكل زرع طيب وأخلاق حميدة تثمر كرامة الدنيا والآخرة !

إلى عباد القاصات والنقود

كان مع رسوله الله (ص) ثمانية دراهم ، فذهب الى السوق فرأى جارية تبكي أضاعت أربعة دراهم لسيدها فأعطاها بدلها ، ثم اشترى قميصاً بدرهمين فسأله فقير إياه فأعطاه له وما أن رجع نحو بيته حتى رأى الجارية تبكي لتأخرها فاصطحبها الى بيت سيدها ، فطرح السلام مرتين دون أن يسمع رداً وبعد الثالثة سمعهم يقولون : وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا رسول الله ، فسألهم عن عدم ردهم أول مرتين ليقولوا : كنا نرد عليك بصوت هابط كي نستزيدك السلام في بيتنا يا رسول الله .

فتشفع للجارية فاعتقوها اكراماً له (ص) فحمد الله على بركة تلك الدريهمات اللتي تصدق واعتق منها رقبة مؤمنة .

فيا من يجعلون نقودهم وقود قبورهم وسبب غضب ربهم عليهم يوم لقائه حيث لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم ، وفي الدنيا تجلب لهم مقت الناس وحسدهم وكرههم ويعذبون بها أنفسهم كبتاً وجشعاً وحرماناً ، فعليكم أن تتذكروا أن المال لم يخلق ليكدس بل لينتفع به الناس فقليله أن تداولوه بشرف وصدق تعامل وقضاء حاجة دونما اسراف ومنة فإن الله يبارك فيه ، ولكن كثيره إن بقي أسير القاصات والصناديق والمصارف فإنه سيكون حسرة على أصحابه في دنياهم وقبورهم وآخرتهم . والله تعالى يرزق الناس بعضهم من بعض مع أن خزائن الرزق كلها في يده ، ولكنه أراد لبني البشر أن يتعارفوا ويتعاونوا .

ولا تخلو الدنيا ومجتمعنا خاصة من النبلاء وأهل الخير الذين يضحون بأموالهم في سبيل الغير ومساعدتهم وانشاء دور العلم والمساهمة في المبرات والمؤسسات الإنسانية وتشجيع العلماء والأدباء ، قال حكيم : يا بني عليك بالأدب ، فالأديب لا يعرف الفقر أو الملل أو المستحيل أو اليأس ، فعقله وقلبه يكتنزان رياضاً من التجارب والحكم والحب والوفاء العظيم وأحمد الصفات ، فيا من احتار بفائض ماله أين يذهب به ، عليك بتوظيفه في مشاريع الخير والنفع لبني وطنك محسناً الظن بهم ، فاذا ساء فعل المرء ساءت ظنونه . وان طابت نواياه رأى الوجود كله أهله وعشيرته وسنده .

إحترام النعمة

حرص رواد الفضاء الأمريكيين على ألا يرافقهم شيء الى الفضاء ، ففوجئوا بعد اقلاع مركبتهم بوجود بعوضة فيها ، إنها من جند الله الذين ضاقت بهم الأرض بما رحبت من صنع وعنف بني البشر . الذين يتسابقون من أجل غزو الفضاء ومحاربة الإنسانية واستعبادها، ناسين أن السعادة ليست في جمع المال فكثيرون كانوا يملكون الملايين ، وفجأة اقتيدوا مكبلين إلى السجون والمحاكم نتيجة لظلمهم وكبريائهم وأكلهم حقوق الناس ، أما رأس المال الصحيح فهو العدل والصدق والنشاط والحب ، والتخلص من المآزق بسهولة ومنها النقاش المحتد العقيم كما يتخلص من معركة انتحارية لا تعادل فيها أو نجاة سوى الهروب منها .

ولا ولن تقوم سعادة الانسانية الا بالحق والعدل والمؤاخاة ، فذلك االمبراطور الصيني الجبار المتسلط والذي لم يكن يستحم أو ينظف أسنانه أو يعالج نفسه من امراض الجنس التي كانت تعصف به وتعرض النساء اللواتي يضاجعهن وأغلبيتهن صغيرات سن ، فقد آل الى الموت كأي إنسان عادي ، ولكنه ترك سيرة سيئة مرة بعده . فلم يصن نعمته أو يحترم انسانيته أو انسانية غيره .

ولنقارن بين هذا وبين ذلك المليونير الانسان الذي روى قصته بتواضع ليقول : كنت فقيراً وضربت سيارة هرة ، فشقت بطنها فخيطته بإبرة كانت معي ، وكان رجل ثري يرقبني فأعجب بصنيعي وفتح لي مصلحة تجارية أثراني الله بها ، فقد كانت تلك الحادثة سبباً لسعادتي وثرائي .

وإنا لنسمع عن الكثيرين الذين لا يزالون يحتفظون بمطرقة أو سندان أو برذعة أو اداة بسيطة متواضعة كانت سبباً في ثرائهم الكبير ، فما تكبروا أو بطروا .

قالت لها : الشرفاء هم الرياض التي تنمو أشجارها وأفنانها متجاوزة ما يرمى تحتها من قاذورات وأكثرها من أصدقائهم الملازمين لهم .

كانت تنقل اليها كل خبر سيء وكاذب عنه ، وتحجب كل خبر مفرح مسر يتعلق به ، حتى اذا ما هبت مجموعة من أصدقائه الأوفياء ليكلموا صديقتها في أمرهما لعلها توصلها مدى عذاب محبوبها الصادق الوفي واخلاصه لها ، فأجابتهم : إنها عندما تسمع اسمه يغمى عليها وقد نقلت أخيراً للطبيب عندما تحدثوا بشأنه أمامها، وإنها تكرهه كرهاً عظيماً .

فعدلوا عن محاولتهم وودعوه ، فأخذ يتخبط باكياً تارة يقع على الأرض وأخرى ينهض، حتى رأته محبوبته ذات يوم فجأة فضحكت له فأسرى عنه ، فقالت له : قدر لي العيش مع أقبح الناس مما يضطرني للطعن فيك حماية لي ولك . ولا عليك من تلك اللعينة، والناس أصناف كالشجر منه من يطول عمره ويحسن عمله ويطيب ثمره ، ومنه من اذا طال عمره ساء عمله وضعف فعله وخبثت سريرته ، وصاحبتي تلك من هذا الصنف الأخير .

واني لن أخذلك وسأغمرك باذن الله بالحب والعطف العظيم يوم يأذن الله تعالى لنا باللقاء. واني مهما كافأتك فلن أفيك حقك ، ولكن درب المحبين المعذبين طويل وهم لا يهمهم رفع راية حبهم وجهرهم بها أمام عدوهم مما يعرضهم الى المحن والعنت ، أو أمام أصدقائهم فيفرحون لهم ويسعدون .

كان يذكرها في كل لحظة وموقف فيفرح قلبه وعندما تعرض عنه يغسل دمعه وجنتيه فيقول له صديقه المخلص :

أتركها فوالله إنها لشيطانة تلازمك وليست محبوبة ستسعدك ، فماذا لو تركتك تتكلم معها علناً أو سراً ولو كلمات عابرة لتعرف سبب ابتعادها عنك ؟.

فتأثر من ذلك قائلاً : والله أن الصديق والعدو ناصباني العداء بسببها ولطالما نمت مفترشاً الأرض كعقاب لي حتى أترك اسمها أو ذكرها ، ولكني لن أتركها ولو فارقت روحي جسدي ، فلا عاش من خان أو غدر من أحب .

بطاقة محبة إلى عمال التنظيفات

كانت السماء تجود بدررها الكثيفة جداً لتحشد الاتربة المجروفة في باب أحد (المناهل) العامة ليبادر عامل التنظيفات المخلص الى تسليكها ووضع الاوساخ في عربته التي اضطر الى وضعها بعيداً عن الرصيف مما ضايق سيارة خاصة فخمة مر ت بالكاد عنها فمست يد العربة مما أغضب سائقها فسب ذلك العامل البريء المخلص فتنهد وشكر الله تعالى على كل حال ، واستمر في عمله .

فهل هذا شكر ذلك الغني المترف لخالقه الذي رفعه درجات عن ذلك المسكين الشريف ؟ وحقيقة أن الكرم هو كرم الخلق وبشاشة الوجه وقد قيل : بشر الشحيح بحادث أو وارث ، وقد قيل بشر المتعجرف بذل وهو ان وان كانت الجبال مسيرة معه ذهباً وعصبته تنوف عن الرمال عدداً !

وفي يوم تتراكم فيه الثلوج أو الأتربة أو الأوساخ في الطرق والأزقة نقدر قيمة هؤلاء العمال المخلصين فلهم من الله الثواب ومن الشرفاء التقدير والاحترام ، لأنه لا يقدر مدى العذاب ومكامن النفوس المحترقة الصابرة الا من عاناها وجربها وعاشها .

أما ذلك المتعجرف الذي كان يتطاول على عامل التنظيفات المخصص لمنطقته عدواناً واستفزازاً حتى قال ذات مرة لامرأة صالحة تحاول مساعدته : اترك هذا القرف لمن خصص له فهو يأخذ عليه أجراً فحز ذلك كثيراً في نفس ذلك العامل . وما هي الا سنوات حتى طرد ذلك المتكبر من عمله وأضاع كل شيء ولم يجد عملاً حتى كان وبالكاد عامل تنظيفات تحت اشراف ذلك العامل الصابر الشريف ، فسبحان مغير الأحوال ! وهنيئاً للصابرين المتواضعين الذين يمتصون اساءات الغير فيحولون نيراناها المتقدة إلى حب وعطف عظيم ونفع وخدمة جليلة لمن يستحقها أو لا يستحقها في هذا الوطن العزيز .

إلتمس لأخيك عذراً !

قال له : أي بني لا تعتبن على أخيك ان تجهم أو عبس في وجهك فقد يكون غارقاً في الدين أو الهموم فالدين ذل والهم سم،أو حاصرته المشاكل ، ولا تتضايقن منه أن رأيته فرحاً نشيط الحركة فالحب جنون وكل منا بحاجة إليه وإلى لمسات العطف العظيم ، لغة الإنسانية والمخلوقات كلها الخالدة الباقية ، والتي مهما تنكرنالها وكابرنا فإنها ستفضحنا ، يقول أحدهم وكان حيياً خجولاً ابتلاه الله بحب فتاة أكثر منه حياء وكانا يكتمان حبهما ، قال لي صاحبي الوفي : أتكتم حباً يقرأ في عينيك جهاراً ووالله إن كل حركة منك لتدل على حب عميق لها؟، وإنها لتحبك أكثر ؟ فكما أن صاحب المهنة والحرفة يعرف من إيماءاته وقسمات وجهه فكذلك المحب ، وقد يصعب اكتشاف نفسية المرء إلا المحبين منهم فهم مكسوري الخاطر شفافي الطبع كرماء نبلاء ، يقول أحدهم : لا تحكمن على امرء دونما اختبار وتجريب له فقد أمضيت سنين طوال مع أحدهم لا أكتمه أمراً أو أخفي عنه شيئاً أو ادخر عنه جهداً وقد احتجته يوماً في أمر سهل يسير ليوصلني براحلته إلى مكان أقدم لأهله العزاء فاعتذر بأنه متعب وقد كررت ذلك بعد فترة لمناسبات أخرى ولكي أختبره فقال : إني أكره المناسبات والمجاملات كلها . فلماذا يعيش هذا ؟ وماذا ينفعه ماله أو غناه ؟ وما هي الفائدة من صداقته ؟ أم هو خشبة من تلك الأخشاب المسندة ؟ لا في العير ولا في النفير ولا اخس ممن يعض على أنامله إزاء قرش يضيع منه سدى . أو ذلك الذي اختاره صهراً وكان مفتشاً على إحدى الحافلات فقال له صاحبه هل اختبرته ؟ فقال لا فقال له : إني رأيته بالأمس يملؤ يديه فلوساً ويضرُب بها كالمجنون عند رجل عجوز نائم حتى ازعجه فصحا ، وبدأ يؤنبه ، أفلا صبر عليه حتى يصحو أو سامحه أو نبهه برفق وأدب ؟ فكيف سيعامل ابنتك غداً فلا خلق ولا رأفه ولا عطف لديه؟أم تلك الطائشة التي تكبرت على محبوبها وذات مرة وهو ذاهب إلى عمله عمدت إلى حفرة ماء ملوثة لتضربها بدولاب سيارتها حتى غسلته بالماء الملوث . وفي مرة أخرى انعطفت عليه بها حتى شق المعدن المهترىء من جانبها ثيابه ، فقالت أعاهدك بالله الا أعيدها وإنما اردت اختبارك بقساوة ، لأتأكد من دسائس الوشاة إذ قالوا بأنك جبار شرس ، وأنا كالأرض تشتاق إلى رؤية ومغازلة محبوبها حتى وإن جفته .

الطيور على أشكالها تقع

قالت العرب : ان الطيور على أشكالها تقع ، وهم أهل تجربة وحنكة وذكاء ، ولذا فان أهل السوء يتقاربون ويتحابون ويبدعون في النفاق ويخترعون أخبث الحبائل والطرق لهم ، وتجدهم أشد الناس عداوة للشرفاء والنبلاء والأماجد الذين يقفون سداً منيعاً في وجوههم وكأن لسان حالهم يقول لهم :

وليس الخلد مرتبة تلقى ... وتؤخذ من شفاه الجاهلينا

ولكن منتهى همم كبار ... اذا ذهبت مصادرها بقينا

وآثار الرجال اذا تناهت ... الى التاريخ خير الحاكمينا

وأخذك من فم الدنيا ثناء ... وتركك في مسامعها طنينا

وبهذا يصمد العظماء أمام السفهاء الحاقدين وان طالت حبال كيدهم وتأججت نيران لعنتهم التي ستحاصرهم أخيراً ، فالمحب لمبادئه وقيمه يضحي من أجلها بكل شيء ولن يفكر لحظة في التزحزح عن موقعه مهما كلفه ذلك من ثمن حتى وان كانت حياته مهراً لها . فقد قال الشاعر :

ما طال ليل ولا حارت كواكبه ... ليل المحب طويل كيف ما كانا

وجاءت قيم العرب الخالدة يعززها الاسلام العظيم ليؤكد أن الشرفاء حيثما كانوا تلتقي قلوبهم ومبادئهم وطباعهم نحو فعل الخير ومساعدة المظلوم ونجدة المضيوم والملهوف والعاني والأسير والمضطر وقضاء حاجة من قصدهم ، ولا يهمهم معاداة السفهاء والأعداء الذين يقفون دوماً في طريق الخير ، فقد قال الشاعر :

ومن العداوة ما ينالك نفعه ... ومن الصداقة ما يضر ويؤلم

وأصدقاء السوء هم اشرار الخلق لا يعرفون للرحمة أو القيم العظيمة أو الحب أو أحمد الصفات سبيلاً مهما كان ثراهم أو درجة علمهم أو جمالهم أو نفاقهم :

وما الحسن في وجه الفتى شرف له ... اذا لم يكن في فعله والخلائق

ولقد أكد الإسلام اجتماع أهل الصفات الواحدة وتآلفها في حديث الرسول (ص) :

(الأرواح جنود مجندة فمن تعارف منها إئتلف .. الحديث) .

إحتباس الفتيات عن الزواج

تشهد الانسانية جمعاء بروعة قيمنا ومبادىء تراثنا التليد ، ولم تعط أمة ما أعطت العروبة لنسائنا من تبجيل ومكانة ورعاية واحترام ، بل كانت النساء غالباً مفاتيح أروع المعلقات العربية وكن رديفات أبطالنا في ساحات المجد والوغى ومنهن الشاعرة والحكيمة والأديبة والطبيبة والممرضة وجاء الاسلام العظيم ليؤكد ذلك ويعزز مكانة المرأة في المجتمع الاسلامي ، وما تشويه هذا الجانب من تراثنا الا من سوء تصرفاتنا نحن مما ولد الكبت والحيرة والضياع والامراض النفسية والاجتماعية ، فبارك ذلك أعداء الأمة ، ناسين أن الاسلام حرص كل الحرص على حفظ حقوق المرأة من كرامة واكرام وإرث وتعلم وتعليم ورعاية عاطفية وصحية ، وسنعالج هنا قضية احتباس الكثير من الآباء لفتياتهم ومنعهن من الزواج واستغلالهم لهن ومص دمهن واكراههن على العمل كي يأخذوا رواتبهن ليعلموا اخوانهن أو يشيدوا عمارات أو يؤسسوا شركات من تعب جبينهن ، ناسين أنهن أحق بالرعاية والعطف العظيم من أبنائهم ، فنحن مجتمع محافظ والرجل لا خوف عليه أينما ذهب وحل وسار ولكن الفتاة أو المرأة تبقى بحاجة الى رعاية وعطف ومساعده اكثر من الرجل ، وهذا ما انتبه اليه اباؤنا وأجدادنا قبلنا ورسخته عقيدتنا ، مع ممارسة العدل بين الذكر والانثى منهما ولا تعني الآية الكريمة (الرجال قوامون على النساء) الإستعباد للمرأة ، بل أن الرجل يؤدي حقوقها كاملة على قدر جهده واستطاعته بحب واحترام ورعاية وحنان عظيم ، ومشاركة وتعاون ، ولكن لابد ان تكون قيادة المركب أخيراً للرجل ، ولقد دلت تجارب الانسانية على مصداقية ذلك لخاصية وضعها الله في تركيبة كل من الرجل والمرأة . ومع التفاهم والارشاد والتعاون تسير الامور ، ولو احتبس كل اب شاذ ابنته عن الزواج وذلك ما تأباه الفطرة الحياتية كلها وحتى الحيوانات والنباتات والمخلوقات كلها ، لانتهت مسيرة الكون ، وتعطلت إرادة الله في إعماره . ففي الزواج هناء وسعادة وثواب فيجب السعي إليه واستغلال ما تبقى من عمر وأيام وإن كان عمر الهناء قصير .

وجوب العودة إلى حب الثقافة

يطلق الكثير من الناس في بلادنا وللاسف مطالعاتهم بمجرد الحصول على مهنة أو عمل أو شهادة ما ، فان المجتمعات المتمدنة والمتحضرة تعشق التثقيف وفي كافة المجالات ومن مختلف الأعمار ، ففي ذلك تجديد ،وتنشيط للفكر والتجربة المعرفية وامضاء للوقت بما ينفع ، ويتذرع البعض بان الذكاء يغني عن المطالعة وهذا خطأ لأن الحكمة تقول : قيدوا الحفظ بالكتابة وصحيح أن المردود المادي للمجالات المتعلقة بالعمل الكتابي عامة ليس باباً للثراء العريض ولكنه واجب مقدس وانساني وهو مدخل عريض لنيل الشهرة والكرامة والخلود وقد قيل : من أراد الشهرة فليزهد في العواقب ! فالعظماء يمارسون أسمى الافعال لأن ذلك طبعهم وواجبهم ويلاقون ما يلاقون من متاعب غير آبهين بذلك أو منتظرين لمنفعة مادية عارضة .

فالمثقف نير العقل واسع التجربة يفرض احترامه على كل من يعرفه ، وكفاه ذلك الكنز العظيم في أعماقه وهو الثقة بالنفس والقناعة بأية حال يسير إليها وأي وضع يؤول إليه . وهو ينظر للأمور بعين العقل والخبرة والتجربة فيزن كل حرف أو حركة أو كلمة أو فعل يمارسه بميزان عادل صادق متزن يقول أحدهم :

إياك أن تحكم على الأمور بظواهرها أو على الأشخاص بمظاهرهم فقد يكون المحكوم عليه بريئاً أو مظلوماً وقد تراه ساكتاً ساكناً لنبل فيه أو لاتزان عقل وحسن خلق وقد تراه كثير الحركة لحيوية فيه ، ولا تعرف هذا أو ذاك إلا بتكرار التجربة وممارسة التعامل معه . فإن الذين يعشقون القبور لايدركون وحشة عتمة الكهوف .

أما الثقافة فهي درع الوطن وسياج الأمة ومقياس هام ودقيق لحضارتها ، وهي تتمثل في جميع المجالات وعلى رأسها المطالعة والقراءة لكل نتاج ، والمطالعة هي تلك الرياض التي يسير فيها الفكر ويتنزه فإن لم تنفعه فإنها لن تضره وصدق من قال : وخير جليس في الزمان كتاب وفي المطالعة سبر غور المعارف وتوق وشوق للماضي واستشراف وترقب للمستقبل وحسن تصرف وتعامل مع الحاضر .

حلم وتواضع

لم يتق الله ذلك الطبيب الذي خلع ضرسه الملتهب لتحدث طامة لم تكن بالحسبان فالتهب الفك كله ولم ينفع به علاج ليحتقن وتجرى عدة عمليات لوجهه الذي تأثر به فانتفخ بشكل مزعج ولم يبرأ من مرضه بل ازداد الورم واعتذرت المستشفيات عن اجراء عملية له لكبر سنه وخطورة الموضع المريض فالرأس يحوي مراكز الجسم الحساسة كلها . كان الرجل شديد العزم واثقاً من قضاء الله وقدره صائماً قائماً حتى قبل ذلك اليوم الذي أجريت فيه له العملية ، وكان يخالط الناس بثقة تامة لا يأبه لانتقاداتهم أو تقززهم منه ، ولكن ضغط المرض على رقبته منعه من الأكل بأنواعه ولما أشرف على الموت ذهب الى مدير المستشفى ليناشده الله أن يرحمه وأن يعمل الذي عليه وأنه سيوقع له على تعهد بمسامحته وورثته من أي نتيجة سيئة قد تحدث له ، وكيف لا ، وقد سامح الطبيب الاول الذي خان مهنته وتنكر لفعلته وحاول طمسها وانكاره معالجته له كلياً ؟

وكلل الله العملية بالنجاح اذ استأصل فكه ووضع بدله قطعة من ضلعه واجريت له عملية جراحية في وجهه ، ليرجع وبعد أن ركبت له أسناناً صناعية كأحسن ما كان من قبل ، وتتعجب إذا ما رأيته باسم الوجه سريع النكتة البريئة يقضي حاجات الملهوف ولا يقول غير كلمة الحق ، ولا يخدش أو يجرح كرامة أحد حاضراً كان أم غائباً صديقاً كان أم عدواً رغم أنه لا يكن العداوة لأحد

ويعترضه أحد السفهاء يوماً فيتأفف منه ويبتعد عنه وذلك قبل إجراء العملية ليقول له : سامحك الله في الدنيا والأخرة ، والله يا أخي أن لو كان الأمر بيدي لدفعت مال الدنيا كله حتى لا أصبح على هذه الحال أو أن أشفى ، فاحمد الله الذي لم يبتليك . فما كان من الرجل الا ان اعتراه الخجل وأقبل عليه يقبل رأسه ويقول : والله لا أدري كيف قلتها ، وأكثر الله من أمثالك ممن حباهم الله بالخلق الرفيع والحلم والتواضع والرضا بأمر الله ، حقاً انك عربي مسلم حمل معه قيم الاسلام وشرف العروبة أؤلئك الذين رضوا بالقليل وكان طعامهم حبات تمر تزرع في دمهم الحلم والرضا والزهد والقوة والتقوى ، أما اليوم فتعددت الأطعمه والأذواق وتبع ذلك اختلاط المعدة وارتباكها مما يطمس الفطنة والأذواق السليمة .

فما العيش إلا الوقفات الصالحات والكلمات الحانيات والتحمل والحلم وتعايش الناس وتخالطهم بشرف وصدق قال تعالى (إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عندا لله أتقاكم) .

ثمرة التواضع

قصده ليقضي له حاجته فزجره فدعا الله أن يحرمه من مكانه ذاك ، ويفصل من عمله بعد يومين فيمر عليه صاحبه مذكراً اياه أن الكرسي لا يدوم لأحد ولو دام لغيره لما وصل اليه هو ، وأن المنصب نعمة من الله يسديها إلى العبد كي يحترمها ويحافظ عليها بالعدل والنصح وخدمة الغير .

ويمر آخر على وزارة فيراه الوزير . وهو لا يعرفه فيسمع الرجل يتذمر من الروتين الممل والعناء القاتل ، فيوقع له على ورقته فيحسبه الرجل ساخراً منه وكم كانت سعادته وغبطته عندما تأكد من صحة ما قام به الوزير وعندما ذهب ليشكره في بيته ذهل أكثر عندما وجده يعزق الأرض مع العمال في تواضع وحسن خلق . ليؤكد لنا حقيقة أن سلائل المجد والتقوى لا تعرف قلوبهم مرض الكبرياء والكسل والغرور .

وآخر لا ينام الا القليل من الليل ساهراً لانجاز ما لم يكمله من معاملات الغير في نهاره وكثيراً ما أتم نواقصها أو وضع طابعاً أو أكثر من حسابه الخاص كي لا تعطل ، فشتان بين هذا وذاك الذي يوجد ألف عائق وعائق ليعطل مصالح الناس أو يثقلهم بالمن وطلب المنفعةمتناسياً ما قاله أحد السلف الصالح : تردعني تقوى الله وإلا لأمكنني عمل مالم يعمله الشيطان ، وذاك الذي يقول : كلما أوشكت على الوقوع في الخطيئة تذكرت أن هناك من لا يسهو أو ينام في السماء وأن هناك أعين لا تغفل أو تترك من يخطىء وان الحر ينفر عن الانتقاد الشائن كما ينفر العاقل من نيران كادت تلتهمه وتقضي عليه .

وأن اهمال مصالح الناس لهو الاضرار والمنكر بعينه وأن هناك لذة لا مثيل لها لقضاء حوائجهم بكل تواضع ومحبة ونبل ففي ذلك أجر وفخر وأجرة زكية وهي بذور وحبال وأسس الشهرة الخالدة ولكل أمر عظيم ضريبة،وضريبة المجد والخلود والشهرة هي العمل والاخلاص والسهر وكلنا نذكر الحكمة الخالدة :

من طلب العلا سهر الليالي ، ومن احتاجك اليوم قد تحتاجه غداً وأن الإنسان مدني بالطبع.

التغني للوطن

أكثر الطفل من التغني للوطن لكثرة ما ذكره له والده وهما في ديار الغربة فقال صديق لوالده لإبنه : أحب وطنه ولم يره فكيف لو كان له به جوار ؟ يا بني الحب بلا سابق علاقة هو السمو والرفعة وهو الأساس العميق البريء الذي ينغرس في الأعماق ليحمل ما يبنى عليه مستقبلاً من ركائز وعمائر .

يا بني إن التلويح للمحب يزيده ثقة وحباً ووفاء وحناناً ، ولو تثاقل بالوصال أو تظاهر بالجفاء ، ولا بد أن يثمر حبه مهما طال بعده .

وإن الخالق سبحانه وتعالى وهو الغني الحميد يحب من أحبه ويبغض من يبغضه وإن عظماء بني البشر أحبوا مواطنهم وضحوا من أجلها وبكوها من أعماقهم وأسموا مواطن أخرى غيرها باسمها تخليداً لها .

يا بني أكثر من ذكر الله والوطن والمحبوب يزداد تعلقاً بك ويقفون معك مهما كانت التحديات ، فلا يثمر الحب غير المحب ، والحنان فالوصال .

إمتنع أهل فتاة من تزويجها محبوبها ، فأكثر من ارسال الوسائط لهم ، فهددوه بالإنتقام منه فعادوا فاشتكوه الى حاكم البلدة وعندما احضروا محبوبته ورأته متألماً منكسر الخاطر بريء المحيا قالت : أيها الحاكم ، أعزك الله : أما آن لهم أن يرحمونا وأنهم فضحوا حبنا ، فأني ألوذ بعرش الله في السماء وبك في الأرض أن أتزوج من بكى قلبه سنين طوال وتعذب من أجلي ، وأنه صبر وتجرع المآسي والويلات في حبي وكان بين نيران أهله وأهلي وأصدقاء السوء ، وإني كنت أكبر سيره على قدميه المسافات الطوال كي يراني وأنا أعرض عنه كي لا يتهمنا أحد بسوء ، وأني لأعذره في ذكري حيثما حل وسار في قلب رقيق شريف بريء ملؤه الحب والشوق والعذاب العظيم .

حسدوه محبوبته فنكدوا عليهما وأوغروا صدرها عليه ، فصبر وبسط لهم قلبه فكانوا يتملقون إليه في وجهه ويمضون في الطعن فيه عندما يغيب عنهم ، ولكن الله أنجحه ليقول له أنكأ أعدائه أخيراً : إنا لفخورين بك ، وحقاً إن مثلك يكون الرجال .

أما أنت ايتها الفتاة التي رسمت حولها هالة مغلقة وأغلقت باب الفرج بصخرة عملاقة لا تجوزها المعاول أو المرازب أو محاولات التوسط ، فما إثم من قتل قلباً معذباً فيه بعد أن أسره حبه وهو الذي مد له حبل حبه ثم قطعه ؟ وما أجر من أحيا روحاً في طريقها الى الموت بسببه ؟ وإنك مهما كتمت حبك له فإن الحب يفضح صاحبه مهما كتمه ودفنه في أعماقه فهو يرى في عينيه وحركاته وسكناته ووجهه المعذب البريء ، فالمحب والفنان والأديب يتكلمون من قلوبهم ويقومون بأسمى مهمة لممارسة الفكر والوجدان الذي يسعى لفهم وسبر غور أسرار العالم والإنسان وجعل خبايا بواطنه تظهر على جوارحه مقبولة سوية ايجابية فاعلة فينتشر الحب والعطف العظيم بين بني البشر بدل الكره والعنف والتشاحن والبغضاء .

ويهدي أحدهم قصيدة لسلطان فيرد عليه بأبيات شعر فيتنكد الشاعر ويقول هو كمن أكرم راع بكوب لبن ، فرد عليه السلطان : إذاً أنت كاذب في مدحك وادعائك الحب لي .

وبعد أن أنهى الضيف مدة ضيافته ثلاثة أيام وثلث عند السلطان بعث إليه ليغادر المنزل فاستاء الضيف فقال له كبير الشرطة : أخذت حقك في الضيافة كعادة العرب فإنه لا بأس عندهم إن أنهى ضيفهم ضيافته وإن لم يكن لديهم متسع للمؤانسة أو المجاملة أن يعتذروا له ويصرفوه ، وبارك الله في زائر خفف فمن أحب أعذر .

ويزور أحدهم سلطاناً أجربت دياره فرأى فرشه الممزق فيئس من عطائه ، فقرأ السلطان ما في وجهه ، فأمر له بعطية جزلة ، فانصرف قائلاً : إن الحب يفضح صاحبه وإن كتمه وأن الكرم يفزع مع صاحبه وإن افتقر .

الإنفتاحة الأولى هي بذرة النجاح:

العمل والحركة والبسمة للحياة شرف وواجب إلى أن نودع الدنيا ، متحدين الصعاب والمحن فهل أروع من فتق البرق لعنان السماء مخترقاً الحجب والسحب ايذاناً بقدوم المطر ؟

والنفس كالخيل إن روضتها على خلق ألفته وسمت وعلت هاماتها وعندها لا يضير صاحبها ما يكابده من تعب أو تضحية أو عناء .

وما أوسمة الخلود والنجاح إلا ثمار الإنفتاحة الأولى للإقدام والإلتحام والتفاعل مع الأمور الصعبة الشائكة وعندها لن يغلق باب النجاح أمام من هو جاد أو شجاع أو مثابر كالبسمة الأولى للمحبوبة التي تأسر قلب من أحيت وللأبد .

يزور أحدهم سلطاناً فيكثر من التشكي فيقول له السلطان : لا تشكو فالله أقوى مني ومنك ولا تكن كتلك المرأة أخذت تندب حظها حتى مر بها محتال فرافقته إلى بيته لينهب كل ما معها ويهتك عرضها أو كذلك الذي استمرأ التسول والتمارض فغرس الله فيه الذل والمرض وأذهب عقله فكان ألعوبة بيد السفهاء والصبيان فلا خير كالعقل ولا نعمة ولا كرامة كالتقوى ولا سعادة كالحب والحنان العظيم .

فلنكفر بالتشكي والتذمر وذم الظروف وسبل العيش وثمار الجهود فبجهودها تعكر الحياة ويكفر بنعم الله ! ولنحب الخير للغير ! يقول أحدهم : كان الأجداد ورغم فقر أكثرهم يشكرون الله على ذلكـهما أحرزوه من نعم فصحت أجسامهم وهدأ بالهم وكانوا يتمنون الخير للغير مؤمنين أنه إذا حل الجراد أو المحل أو الحرب في ديار تجاورهم فإنها ستصلهم وإن اشتعلت النيران في مساكن جيرانهم فإنها ستلفحهم لا محالة ، وإذا بشر الخير والغيث في ديار فإنهما سيحلان في ديارهم ليعم الخصب والبركة والسعادة .

ويقول أحدهم : أقصر حبال البشر فقد تقيدك وتنكد عليك ! وأطل حبال الخير والمعروف فقد تنجيك ! ولاتمعن في عداوة فقد يصبح عدوك صديقاً ولا تبالغن في صداقة فقد يصبح صديقك عدواً !.

من التراث

نساؤنا الماجدات

زار قوم يزيدون عن الأربعين فارساً ، إمرأة في أعماق الصحراء في عام جدب ضرب البلاد فلم تجد شيئاً تقدمه لهم فتألمت كثيراً ، فطلب قائد القوم منها وعاء السمن فدهن ومن معه رؤوس أصابعهم وأفواههم ليوهموا الناس المجاورين لها أن الضيوف خرجوا من عندها بغداء لينقذها من جرحها شاكراً لها نبلها وصدقها وأدبها وحيائها .

وفي الوقت الذي تشتكي فيه مئات المجندات في دول العالم اليوم من اغتصاب زملائهن لهن فإنا لنذكر بأن نساءنا كن يرافقن اخوانهن في حومات الوغى وساحات القتال يضمدن الجرحى ويقدمن الطعام ويقاتلن ويغمرن كل فرد فيه بالحب والعطف ،ولم نسمع بحوادث اغتصاب كهذه .

يمسك أحدهم بامرأة في السوق يحسبها زوجته فيقرر أهلها قتله فتردعهم قائلة : وعندها سيقول الناس أن بيني وبينه علاقة سيئة ، ولنقبلن عذره ! فالحرة تسبقها سمعتها الحميدة تدافع عنها وبنت الرجال لا تستحي من الرجال لشدة ثقتها بنفسها وقوة عزيمتها وارادتها.

قالت لها : كفاه عذاباً من أجلك لسنين عدة ، فإما أن تقطعي الحبل معه أو توصليه ولن يتم ذلك إلا بالإلتقاء سراً كان أم علناً ففتق الدمل خير ألف مرة من تجاهله أو الإكثار من العلاج والتخوف والحرج.

ويقدم ابنها أردأ ملابسه للمقاتلين فتقول له أمه : قدم أجود ما عندك فلعلك تلبسه في يوم تفرح فيه ! وتدور معركة مع العدو ويقتل قائدهم وكان ذلك الشاب قد أبلى بلاء حسناً في تلك المعركة فيختاره القوم، وبعد توزيع الغنائم والموجودات،زعيماً عليهم فأبصر ملابسه بينها فعرفها فاستسمح قومه ليلبسها ويحتفظ بها حتى مماته ذاكراً نصيحة أمة العظيمة الماجدة .

وهكذا كانت نساؤنا العربيات رمزاً للحب والقيم والعطف العظيم وأحمد الصفات .

كان المتوكل على الله الخليفة العباسي ألزم ابن السكيت تأديب ولدية المعتز بالله والمؤيد ، فسأله يوماً : أيهما أحب اليك إبناي هذان أم الحسن والحسين ؟ فقال : والله إن قنبراً خادم علي بن أبي طالب خير منك ومن ابنيك فغضب المتوكل ، فأمر الأتراك أن يسلوا لسانه من قفاه ، فمات . هكذا الحب الصادق والوفاء والموقف الذي لا يتزحزح صاحبه عنه.

يقول أحد الحكماء : عجبت لمن ماتت قلوبهم عن التعامل مع الحياة ، فطلقوها وقد مررت يوماً بطفل بدأ يمشي لتوه يرقب بنّاء يحمل الحجارة فحاول الطفل رفع احداهن ليساعده ، فأخفق فحاول مراراً دون جدوى فخجل وترك المكان ويقدم شاب الحلوى لفتاة في حفل ولم يكن رآها من قبل فأحرجت من الناس ورفضتها فأحبها ، وافترقا سبع سنين ، وتأتي الفتاة الى بيت قريبة لها قدمت لها طعاماً عادياً من الخبز الجاف واللبن فقالت الفتاة : ما ألذ طعام الفقراء وما أبركه ! وما أن انهت الكلام حتى دخل شاب صديق لابن تلك المرأة ، معه البيت ليرى الفتاة صدفة فعرفها وعرفته ، فأخذ الشوق العظيم والحنان الدافىء منهما مأخذه ، فتزوجا .

فسبحان من يحل العقد عندما يشاء وبكلمة كن فيكون ، وصدق من قال :

وقد يجمع الله الشتيتين بعدما يظنان كلَّ الظن ألاّ تلاقيا

كانت الفتاة حذرة تقترب منه ببسماتها الحانيات المقلة فيفرح ويسعد لحظات ثم تجفوه طويلاً وعندما كان يحاول الإقتراب منها تبتعد وتشكوه لصديقة لها ثرثارة فتفضحه، فيتألم كثيراً ويملؤ وسادته دموعاً فيعزم على تركها ، ولكنه يعود الى الهيام بها اثر رؤيته لوجهها الساحر الجميل حتى إذا أوشك على الإنهيار ، ارسلت اليه : أعاهدك بأن أعطيك ثمن عذابك ووفائك وبكائك ،وسأرتمي في أحضانك الدافئة عندما تزاح عني الأغلال من أهلي وأصدقائي ، فالحب ينمو وتذيب نيرانه كل الشوائب فتحيلها جمالاً ووفاء وإخلاصاً .

بعد فوات الأوان

طفح الكيل وكادت تخرب بيته ولم ينفع أي علاج معها ففوجىء الناس بتركه البيت كلياً لتجلس حول أكوام الأثاث وأصنافه مما هو ضروري أو لا مبرر له لتصحو بعد فوات الأوان وترسل له أن عد إلي وسأتنازل لك عن كل شيء ولن أعد الى أي تصرف يغضبك فكان ذلك بعد فوات الأوان .

وصرخ قائد المخفر من شدة إعيائه إذ عالج يومها قضايا لا حصر لها أكثرها كان بالإمكان تجنب أسبابها بأهون الطرق فذلك الذي زلق حذاؤه في قشرة موز وانكسرت يداه والذي غسل بماء ملوث رشقته احدى الخادمات وتلك المشاجرات المتفاوتة الضرر بسبب أطفال صغار يلعبون ثم ما يلبثون أن يتشاجروا وبعدها يتصالحون ويعودون الى اللعب معاً مجدداً .

إنها مسؤوليات يحملها كلنا لدرء الخطر وتجنب المحظور وتحري الأمور فرب ملوم لا ذنب له وآفة الرأي الهوى .

أما ذلك الذي ماتت عنه أمه وهي غضبى عليه لإعلائه صوت المذياع على الأغاني بينما كان يغلقه إذا سمع القرآن ، وما أفاق من غيبه وصحا وندم الا بعد أن هالوا التراب على قبرها فما نفعه البكاء ولا العويل ولا طويل التأسف ، ناسياً أن كلام الله هو أحق وأعذب وأقيم وأصدق الكلام وقد أذهل وأعجب وسحر الألباب للملايين من بني البشر ومن كل الأمم وفي كافة الأزمنة والبقاع، ولقد وضع المستشرق البريطاني جون بينسايك قاموساً عربياً انجليزياً عام ١٨٧٣ اسمه (سلك البيان في مناقب القرآن) متخصص بالقرآن الكريم مبيناً اعجازه وسحر بيانه ومدى صعوبة ترجمته نظراً للصور البيانية التي يصعب وضعها أو وصفها في اللغة الإنجليزية ، وقد كان هذا المستشرق قد ذهل من مدى انتشار القرآن الكريم واعجاب وحب مئات الملايين من بني البشر في كافة بقاع الأرض له مما دفعه الى عمل هذا الإنجاز الضخم القيم .

فالأيام تمضي والساعات تعد ولا يفوز غير الأباة الذين يدركون شرف وقيمة الحياة ويحسبون لكل صغيرة وكبيرة ألف حساب فيزنون الأمور جيداً بشرف وصدق وجد وحذر وأمانة قبل فوات الأوان وندب الحظ وحرق الأعصاب والقلوب والعيون .

حول المهرجان الأول لأغنية الطفل

جرى في الأردن عرس جديد هو مهرجان الأغنية الأول للطفل . والطفل هو حجر الأساس في بناء الأمة ، وجدير بنا أن نهتم به كل الإهتمام ليكون إنساناً إيجابياً منفتحاً واسع الخيال بعيداً عن التعقيد والكآبة .

ومما لا شك فيه أن الأغاني والموسيقى العربية هي غذاء نفسي وعلاجي كبير خاصة ما كان منها في نطاق التراث والعقيدة ، والمبادىء ، وهي من أرقى ما أبدعه بني الإنسان بشهادة المنصفين من مفكري وفناني العالم ، وكفانا أنها أسهمت في زرع الحس المرهف والشهامة وعزة النفس لدى آبائنا واجدادنا ،كان أحدهم لا يطلب شيئاً من سلطانه ويكتفي بالأوسمة فعجبوا له وسخروا منه ، ثم أن أحدهم رجاه أن يطلب له ولاية من السلطان فاعتذر تعففاً وتحرجاً ، فصب عليه صاحبه جام غضبه بهمزه ولمزه ، ثم أن صديقاً آخر له ألمت به فاجعة حالقة فذهب سراً إلى السطان يخبره بما حصل لصديقه ، ففطن السلطان لعزة نفسه فأمر بعطاء سخي لصديق الرجل ، فعلم الناس أن عزة النفس أزكى وأثمن من أي كنز وأن الف لقمة ممسوخة مستجداة لا تساوي لفتة كريمة من ذوي شأن تخرجك من أعماق الهاوية بإذن الله أو تأخذك الى قمم المجد .

وإنها لدعوة الى كتابنا الأفاضل الى زيادة عطائهم وكتابة الأغاني التي تناسب أطفالنا وتحافظ على مكتسباتنا الفكرية والثقافية والتراثية وذلك هو الوفاء لآبائنا وأجدادنا ، فهم فخرنا ومصدر وجودنا ، فلهم منا كل عرفان وتبجيل ، وهم الحب الخالد ، جفت محبوبها فأخذ الحزن منه مأخذه فبعثت إليه ، أهكذا الرجال؟ أيخذلني يوم الأهل وأصدقائي أعداؤه يشمتون بي؟ فقد أنعمت عليه بالبسمات ولم يفرح بها أحد قبله، وكفاه أني عندما لوح الأهل لأن ينتقموا منه ويرفعوا قصتنا للقضاء أن قلت : وهل من تفانى في حبه خائن أو مجرم أم هو مخلص يحتاج كل حب وعطف واحترام وتضحية؟

عاقبة سوء الحيلة

قطع به الحبل ليقتل فقال رجل : هذه عاقبة سوء الحيلة والتراخي والإهمال فكثرة الحبال القصيرة الموصولة معاً لا تعطي الحبل قوة ولا تردف المحالة التي تسحبه ولا تسعف صاحبها فتوصله بر الأمان ، وكان عليه أن يجوّد ربطها فتكون عند ذلك أقوى ، كمن حاصرته المعاضل فعليه ألا يقفز عنها بل يعالجها الواحدة تلو الأخرى بصدق وثبات ودراية .

والإنسان العاقل يكون ثاقب الرؤيا قوي الشخصية ذو بصيرة بالأمور وقد قيل : إذا ازدحمت العقول ضاع الصواب .

كان صادقاً في حبه ، فأمعنوا في تشويه سمعته ، فكانت تكتفي بإرسال بسمتها الساحرة ثم تبتعد عنه وبقيت على ذلك سنين عدة ، فقالت لها صديقة سوء : لقد أصبحتما حديث المجالس لتغنيه بك حيثما جلس ، فأقسمت لها أنها تكرهه وإنها تنتقم منه بهذه البسمات التي ترسلها إليه بسرعة البرق كي لا يراها أحد فيفضحها ، سمعتها إمرأة فاضلة فنقلت كلامهما للرجل فتألم كثيراً وخاب أمله ، إذ كان يعتقد أنها مغلوب على أمرها من أهلها الذين يرفضون زواجها منه ، ، فابتعد عنها ، فافتقدته ، ، وأخذت تسأل عنه وتتابع أخباره لتكتشف أنه بريء وأرسلت إليه تعتذر له عن قسوتها وتبرر له ذلك ، فلم يصدقها رغم ما قد أشيع عن بكائها إياه معللاً : رب كثير الدمع غير كئيب ، ورب مدع للحب وهو كاذب ، ولو صدقت في البداية لما تعذبنا هذاالعذاب، ولكن سأرجع إليها وستكشف الأيام من الصادق أو الكاذب منا ، كتلك التي أمعن أهلها في عذاب زوجها فأجبروها أن تقول بأنها لا تريده ،وفي ليلة تأخر الوسطاء عند أهلها وزوجها معهم ورفض الأهل إرجاعها مدعيين أنها ترفض ذلك، فناموا عندهم ، وكانت قد خبأت (المعلاق) وبعد أن نام الناس وكانت ترقب فراش زوجها الذي نام فيه أخوها فجأة دون علمها ، فذهبت متسللة قائلة له : خذ هذا كله!، إني أحترق للقائك ولكنهم (وقد أخذت تسبهم) لا يريدون إرجاعي معك أبداً وقد أجرمت بحقك إذ (حروت) ولنرسم خطة كي نهرب !.

فلم يتكلم معها كي لا تعرف صوته ، وكأنه غاضب عليها ، فرجعت من حيث أتت ، فسارع أخوها الى أبيه وإخوته يخبرهم الأمر، لينساقوا إلى الحق ، فأرجعوها إليه ليعيشا حياة سعيدة .

يقول أحدهم : سرت في مدينة بكاملها فما رأيت في طريقي من يحمل قلماً في جيبه أو يطالع مجلة أو جريدة أو صحيفة ، فقلت لنفسي ، كيف لهؤلاء أن يبدعوا وينتجوا ؟ فالتلويح للشيء دليل على حبه من أجله ، وفي تنويع البذار روعة للحقل وبركة وجمال.

والأمة القوية تبني وتعمر وتنتج بيد مثقفة واعية وعلى كافة الصعد والميادين، بينما تتجهز وتستعد عسكرياً وقتالياً على كافة الأسلحة وتقنياتها وبأحدث الكوادر وأكفئها فنياً وأكثرها خبرة ومجاراة لما توصل اليه العقل البشري من اختراعات وانتاجات وأفتكها إن داهمه خطر مفاجىء لم يكن بالحسبان .

ولنعطِ مثالاً لذلك أن شعب فيتنام الآمن فوجىء بقوة دولة من أعظم دول العالم قوة وامكانات وتقدم عسكري كبير فصبر وصمد عدة سنين أمام القوات الأمريكية فكات طائراتهم تحرث القرى على أهلها فينسلون من بين الركام يبنون مجدداً أو يستفيدون من حطام كل شيء وعلى أبسط الطرق وأكثرها بدائية وكان طعامهم حبات أرز لا تكاد تشبع العصفور ، حتى انتزعوا نصراً عزيزاً مظفراً ، فالأمم الحية كالأحبة والعظماء لا تفارقهم الأخطار والتحديات فعليهم أن يكونوا يقظين جادين عاملين ، ساهرين مضحين بكل شيء من أجل كرامة الأمة وتراب الوطن وما العلم إلا تلك الدروب المضيئة التي يستنير بها كل فرد من أبناء الأمة في موقعه ولذا فلا بد أن نهتم به ونعزز مؤسساتنا الثقافية ونشجع المبدعين في كافة مواقعهم كي يجودوا ويبدعوا ، فهم النحل الذي يصنع شهده مما امتص من رحيق وسائل ، أما إن قفل جائعاً مسمماً فإنه سيموت حارماً نفسه وغيره من أكرم وأروع عطاء .

ويقول رجل منصف للعلماء والأدباء : إني أجوب الدنيا بتجارتي وأعمالي الكثيرة جداً،وإني لأعجز عن كتابة رسالة لأعز أصدقائي ولو كانت صفحة واحدة فأعان الله العلماء والمخططين والمفكرين والمبدعين والأدباء على سهرهم وعصرهم أفئدتهم وعقولهم فهم حقاً بحاجة إلى دعم وعناية ورعاية وحب وتبجيل وعطف عظيم .

حب العروبة الخالدة

عندما علم عجوز جزائري بوجود معلم أردني في قريته الجزائرية عانقه باكياً أشد البكاء مستذكراً وقفات الشعب الأردني مع الجزائر ، ابان الإستعمار الفرنسي ذاكراً تلك العجوز التي جادت بمصاغها كاملاً وأخرى قدمت دجاجاتها وهي رأسمالها فبجلها الحضور .

فالعروبة بحاجة الى الحب والولاء العظيم من كل فرد من أبنائها وعلى امتداد ساحتها في الحرب والسلم شيباً وشباباً بايمان العجائز وحب المساكين ولا يكن حالنا كتلك الفتاة التي خالفت أهلها وأمنت الذئب الماكر فجاملها وعلم أسرراها وقومها فبدأ بهم واحداً واحداً وعلى فترات وفي الأخير ليأكلهم بأهون الطرق ولم تسلم من أضراسه المؤلمة .

فعلى أبناء العروبة أن يعوا أن المال زائل وأن الحياة كلها دقائق وثوان في عمر التاريخ وأن وحدة الصف أغلى وأثمن من كل مال الدنيا لمن أراد الكرامة والخلود وأننا لا بد أن نجتمع سوية في يوم ما في خندق واحد ومصير واحد محتوم أمام أي تحد قد يهز كيان العروبة ، قيل أن رجلاً فقيراً أحب ابنة رجل موسر فامتنعت أمها بشدة بينما وافق أبوها وكان رجلاً حكيماً عرف ذكاء وجد ونشاط وصدق ذلك الرجل ، وبعد سنين من زواجهما ، احتل العدو أرضهم وطردهم ولم يتمكن أحد منهم من أخذ أي شيء معه فتشتوا وهاموا على وجوههم . فاستقروا في ديارجديدة ، أما الرجل الثري الذي أمضى حياته في عز وهناء يعتاش من ربع أرضه ونتاج حيواناته فقد سدت الدنيا في وجهه ولم ينجح في شق طريق جديد ليعيش أبناءه . أما صهره المتعود على الكد والعناء فقد ضاعف جهده ليزرع ويتاجر ويربي الحيوانات ويحسن للناس فبارك الله له في جهده ماداً يد العون للمحتاجين والفقراء وفاتحاً مصالحه على مصراعيها للعاطلين عن العمل موفراً لهم عملاً شريفاً كريماً بخلق حسن ومعاملة انسانية فشاع صيته في الآفاق .

فقال صهره لزوجته : أفطنت الآن لحكمة قالها الأجداد والآباء ؟ ما خاب من زرع الطيب والمعروف العظيم في قلوب الرجال الشرفاء فهم الكنز وراس المال المدخر ليوم تسد فيه الفرج وتضيق فيه الأحوال .

وكذلك هو حال العروبة والأمم الحية فإنها تقدم امكاناتها وتطرح ثمارها دون منّة أو أذى فيفوا لها ويخلصوا في الذود والدفاع عنها بكل شيء وتتفق امكاناتهم الفكرية والإبداعية ليتغنوا بها ويشيدوا مجداً تليداً لها ، ولنتذكر أن العروبة هي رمز المروءة الخالدة وأحمد الوقفات .

ملاحظة: من المواقف التي لا أنساها لأنها محفوظة [illegible]

١- في زيارة لي للإذاعة الأردنية

ودائرتها وإذا الحشد من الزوار والأعيان يحيطون بي فاستقبلني

عند الباب مرحباً التعرف عليه قائلاً لنا الشرف أن نستقبل الأستاذ أحمد

[illegible] حيث استمع من قليل من كتاباتي في الكتابة الجانبية في جريدة

الشعب إذ أطلقت آنذاك.

ومعرض على زاوية إذاعية وفكرة ظهوري كمدرس في مدارس ذات

مرحلتين (فترتين) صباحي ومسائي - يحول دون ذلك فاعتذرت له

ومختلف المجموعة [illegible] الذين - اجراء لقاء معي فوراً

فجلت معي ذلك في برنامج اسمه (سائح بلا ألوان)

٢- أول لقاء إذاعي [illegible] المرحوم الحاج حسين الزيودي

إذ كنت في مكتبة [illegible] التلفزيون أصبح أحد كتبي فتعرف

[illegible] ذلك اللقاء الإذاعي البارع

٣- كنت أضع عدداً من الكتب في أكشاك البيع فيدفعون لي ثمنها

مسبقاً كأكشاك أبو علي وشهد النيل والعربية ع [illegible]

ومركز الدراسات الأردنية [illegible] في عمان

تحرزت [illegible] هذه لنختار أفضلها وتشتريها لمكتبة الكونغرس الأمريكي والسفارات العربية والأجنبية

فإذا نفدت الكتب التي عندي اشترى ما تبقى لدى الأكشاك كاملة

منهم [illegible] وبالتالي معظم كتبي تنتهي هناك.

الأستاذ نايف المعاني كتب مقالاً في جريدة الشعب عنوانه (الكاتب

الذي يشتري كتبه [illegible] أحمد [illegible])

٤- تجديدات [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

[illegible] [illegible] [illegible] [illegible]

إلى الفنانين

قيل أن عدداً من كبار الرسامين الأوروبيين ماتوا مفلسين تاركين لوحات بيعت بعشرات الملايين من الجنيهات بعد موتهم فخلدتهم بينما نعى الناس على معاصريهم خذلانهم لهم حتى آلوا الى ما آلوا اليه من كبت وحرمان وسوء حال وعذاب وفقر .

وإن كبار الفنانين والممثلين حتى من الذين أفرطوا في لذاتهم رجعوا الى الله لينشروا تعاليم دينهم وزرع المحبة والرحمة والعطف العظيم في قلوب المعذبين وتلك لذة تفوق كل نشوة ، فتنازلوا عن كل مكتسباتهم المادية غير آبهين بها عندما بهرهم نور الحقيقة بنورها الساطع فعاشوا مع آلام الناس وأدركوا عذاب ولوعة المرضى والمعذبين والفقراء والمساكين وصدمة الموت القاصمة القاسية وأنات أقاربهم وأرحامهم المصابين والمنكوبين والمرضى يستغيثون بكل شيء لعله ينجيهم من أهوال ماهم فيه .

فالفنان وحسب مجاله وعطائه يمثل واجهة بالغة الأهمية للأمة والوطن ،عليه واجب الإخلاص لهما كل الإخلاص وعرض مآسيهما ومعضلاتهما ومشاكلهما بصدق ودقة وأمانة لمعالجتها وحفظ تراثها ونقله للأجيال القادمة وتعريف الأمم به ، وعلى الأمة أيضاً واجب مهم وهو تكريم هؤلاء النخبة المبدعة ، وأنها لمأساة حقة ألا يجد الفنان أو المبدع من كاتب أو شاعر أو مخترع ما يضعه في فيه أو أفواه أسرته ، فكيف سيبدع هذا النوع أو يستمر في عطائه ونتاجه ، خاصة أن مدنيتنا الحاضرة تزخر بالعقد والمعضلات التي تنوء بحملها الجبال الرواسي ؟ وأن كل فرد أصبح بحاجة ماسة جداً الى الراحة النفسية الملحة التي يجدها في حل معضلاته من جوانب كثيرة كتحسين الوضع بكافة جوانبه ، وتوفير مجالات اللهو الراحة والإستجمام ومن بينها اللوحات الفنية والكتب والمسارح والمشاهد والتمثيليات في الإذاعات المرئية والمسموعة .

وأن هدير المحركات وضجيج الآلات وضغط السكان وشدة أزمات الحياة الحالية لتحتاج الى فواصل تخلص الإنسان ولو للحظات من بين براثنها وحقيقة أن فرسان الخلاص لها هم الفنانون المخلصون رمز الإبداع والرحمة والعطاء والدفء العظيم ، فالرحمة هي بلسم الوجود وبسماته النابضة باليمن والحب والخلود .

آتونات يصنعونها لفتياتهم

رآها ولا ارادياً تبتسم تارة وتعبس أخرى فقرأ ما في وجهها ليقول لها لا تيأسي من الحياة واصبر واثبت وحاول مرة تلو الأخرى فالإرادة تعمل المستحيل والحركة الدائبة والمحاولة المتكررة تزحزح الصعاب وتذللها ، وإن تحريك الساكن أسهل من تحريك المتحرك والأمل رفيق مؤنس أن لم يبلغك مقصدك فقد استمعت به .

فقالت : أكثر الله من أمثالك أيها الصديق الوفي فإن الأوفياء مثلك اليوم قليلون فهم كالكنز الثمين يحتاج الى صعوبة بالغة كي تجده بعد بحث وتمحيص وتفتيش شاق جداً، فالباحث عن الحقيقة كسائس الخيل عليه أن يصبر ويثبت وقد يكون نصيبه فرساً أو حصاناً عنيداً مشاكساً أو مريضاً ، ولكن أن تركب حصاناً أعرج خير من أن تمشي على رجليك فوق كثبان الرمل أو أكوام الحجارة أو الأشواك أو الأوحال ، ولكن المجاملة هي قدر الشرفاء، وما أصعبها عندما تكون مع أناس جبناء لا أخلاق لهم لؤماء لا يعرفون للفضيلة طعماً أو وزناً ! ولو أعطيتهم قلبك وإمكاناتك ووقتك كله لما قدروا ذلك فهم يتلذذون بمتاع الدنيا والإساءة والكيد للشرفاء وحسدهم وابتزازهم ناسين أن المجاملات الكاذبة والمداراة وتقديم المناسف ورمي العظام وجمعها في أكوام لتدل على الكرم أو النعي الكاذب في الصحف والمجاملات لتسقط بأسمائهم تحت أقدام المشاة التي تطؤها دون مراعاة الحرمة أو مكانة أو اعتبار أصحابها ، وكذلك القصائد المنمقة وقد تكون منافقه وكذباً تذهب كلها أخيراً كما يذهب السراب ولا تبقى رابطة أقوى من الصدق والحق والحب والعطف.اختلف أقارب الزوجين السعيدين فزجوا بهما فيها فكان فراقهما الأبدي ناسين روابط الرحم والأطفال والعيش والملح ، وعندما ودعت بيتها فقدت وعيها فوطأ أخوها على ظهرها وضربها بشدة ، وبقيت وزوجها وأطفالها معذبين سنين طوال ولم يرض أهلها بأية وساطة خير، فأرسل الى الزوجة زعيم قوي صالح أن احتمي بي وسأخلصك من هؤلاء المجرمين أصحاب القلوب المشتعلة إجراماً ولعنة وخسة وطغياناً أعداء الإنسانية وأنفسهم.وعلى الشرفاء التعاضد لقهرهم بأية طريقة لإنقاذ الأبرياء من بين براثنهم لينعموا بالحب والدفء العظيم وبالحياة الحرة الآمنة الشريفة بدل تلك الآتونات اللعينة التي يشيدها قساة القلوب لفتياتهم فلذات أكبادهم .

قال الشاعر عبدالعليم القباني :

يرى بي صديقي خلا يستسيغها فيصفو له نهر الوداد ويشرب

ويصحبني منه الوفاء فأنثني وكل أحاسيس القلوب ترقب

وينظر لي عين العدو بريبة فكل الذي أبديه زيف معيب

رأى بي مالا يرتضيه فعافني له رأيه فالحق يرضي ويغضب

تسامحت حتى لم أدع لي صاحباً له حجة يدلي بها حين يعتب

ولم أحمل الحقد المضلل أنني رأيت الرضى أهدى سبيلاً وأرحب

عرفت طريقي في الحياة فردني الى سلمها إني الى الحب أقرب

فالصداقة وزمالة العمل هما رأس مال لا مثيل لهما وهما كالرزق إما ميسر أو صعب الحصول عليه وعلى العاقل أن يحسن التعامل والتصرف مع كل ظرف سيق اليه وفرض عليه وما أصعب أن تصير أمور الشرفاء بين أيدي الجهال والسفهاء ا وما أمر أن يجني العاقل ما زرعه المجنون ا فقد قيل مجنون رمى حجراً في بئر عجز عن اخراجه عشراً من العقلاء، وعدو عاقل أمين خير من صديق خائن مجرم منافق مجنون .

وقدر الشرفاء أن يعروا ويحاربوا في مواقعهم المتقدمة في ريادة الأمة وقيادتها وخدمتها ، فعليهم الصدق والثبات وعدم التزحزح عن أماكنهم ومبادئهم بعمل دائب وشرف واتزان وحسن نية وإسداء جميل ونصح للغير ، فالذي يقدم المقل من عون ومشورة ويجهد نفسه في ذلك خير الف مرة ممن يناور ويخادع ويرمي ألف تفاحة فاسدة خبط عشواء في الهواء يعمد الا تقع واحدة منها في ذلك القفص الذي به صديقه .

وكلمة الحق هي طبع الشرفاء عليها جبلوا وبها اتصفوا ، وإن الصديق من صدقك ونصحك ولو قسى عليك وآلمك ، وأن يسقيك جرعة ماء دافئة خير الف مرة من أن يوردك المياه العذبة الباردة ولكنه يسيجها لك بألف منغص وعائق حتى تعافها وترجع عطشاناً ، وإن الكرام زادهم الكرامة والعفة والشرف والحياء والمروءة فعمرهم وهم الأحرار قصير وزادهم

الوفاء والحب وأحمد الصفات ، ولكن أعمارهم لا تقاس بطولها بل بمقدار وقفاتهم الخالدات وما أحرزوه من نصر وأوسمة حب وفخار ، أما الجبناء فعمرهم طويل ، وثناؤهم قصير ، وسيرتهم ميتة مع موتهم أو فراقهم كالهباء المنثور يدفن ساعة انحراف الشمس عن تلك النافذة الباعثة له .

للوطن تحية الخلود

في ظل التكالب على المادة أصبح التغني للوطن ضرب من الخيال ، ولا يقدر قيمته الا من انكوى قلبه بنار الفراق والبعد عنه .

يقول أحد الحكماء : إذا أردت أن تعرف وفاء الرجل فانظر الى حنينه لوطنه والى بكائه على ما قد مضى من زمانه والى تغنيه بمن أحب دونما اكتراث لرأي ناقد أو هامز أو لامز، فالحب قدر وهدية سماوية عظمى تسري في القولب والدم والوجدان ولا ينالها الا الشرفاء والعظماء ، أما الرزق فييسر لكل المخلوقات وخير أسبابه التقوى ، يقول الإمام علي (رضي الله عنه) : "لو أن السماوات والأرض كانت على عبد رتقاً ثم اتقى الله لجعل له منهما مخرجاً " ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب " .

هناك سمك يرافق أسماك القرش المفترسة الشرسة ضعيفة النظر ليدلها على فرائسها ولا تمسها بضرر بل يقتات على الفضلات المترسبة بين أسنانها فيدخل ويخرج من وإلى فمها آمناً مطمئناً .

فحب الوطن والناس فرصة ثمينة وهبة عظيمة لا يجوز اضاعته فيندم صاحبه أشد الندم ، يقول الشاعر الذي تكبر على محبوبته فابتعدت عنه فحرقه الفراق فخاطب نفسه متأوهاً :

حننت ، إلى ريا ونفسك باعدت مزارك من ريا وشعبا كما معاً .

فالوطن هو كرامة المرء واكليل عزه ومجده ، وعلى كل فرد الإخلاص له ولأهله ، مهما كان منهم ، وليكن الإنسان السوي كالنخلة ترمى بالحجارة فتلقي خير الثمار أوكالمحب ينأى عنه محبوبه ولكنه يبقى وفياً له باراً به حافظاً تلك البسمات الحانيات التي أسعدت قلبه وملأته بالحب والعطف العظيم حتى وإن كانت مقلّة ومتباعدة الفترات كتلك التي مزقت قلب محبوبها سنين طوال مستجيبة لجشع أهلها الذين احتبسوها من أجل ثروتها فقالت لها صديقتها الوفية : فلتقف مع من ضحّى من أجلك تاركة كل شيء لأهلك مما عبدوا من مال ومتاع زائل كنتاج ثمر المقابر أو المرافق أو بيوت الخلاء تستقذرها النفس وتعافها الطباع السوية والأفئدة السليمة ولتحطمي العزلة والموت والجمود ، فما تلك النيران

الهائلة وحطام الأرض المزمجرة بحمم وسيول رهيبة صائحة صارخة مطلقة وللأبد كبت الأجواف الملتهبة المظلومة إلا منقذ للّيل الطويل المعتم الآسر متمرداً على عتمته ووحشته وقيوده وأسراره وخباياه المقيتة .

إلى المستثمرين الحيارى

جعل الله تعالى شكر النعمة والتوكل عليه والجد والنشاط وسعة الحيلة وكثرة المحاولة وتكرار التجربة أسباباً لنيل الرزق ، وإنك لتجد اليوم الكثير من الأثرياء يتذمرون ويشتكون من إنسداد النوافذ أمام استثماراتهم التي لم تعد تدر ربحاً أوتسد التزاماً ، فقال رجل عاقل ذو تجربة : إنهم يريدون ربحاً وافراً دون تعب وتضحية واتكال على الله ، فهل جربوا التعامل مع الأرض الأم الحنون رمز الحب والحنان العظيم ؟ وأن الله جعلها مخزن أرزاق عبيده ومخلوقاته ولكن عليهم سبر أغوارها وكشف أسرارها والإبتسام لها ومغازلتها ومداعبة أعماقها ولثم ثراها وتقبيل أغوارها وتحريك مجاهلها ،وحبها بصدق ، وعندها فإن الله حقاً سيضمن رزق العاملين الجادين الصادقين واطعام من على ظهرها وعندها فإن أمرّ المعضلات ستنهار أمام صدق وشرف العمل والثبات فتحلو الثمار وينسى التعب وتسكن الأغبرة وأتربة الجد والجهد فالعكرة لا بد أن يتبعها الصفاء رغم مرارتها فالمرء يذوق الأمرين ويحشد كل جهوده وإمكاناته لعمل ما ، وقد يفشل مرة أو مراراً ولكنه سينجح في النهاية ، كالمحب قد يمضي سنين طوال يمضيها في العناء والمحاولة وسرّ حبه بين جوانحه المضطربة ألماً وشوقاً وحنيناً وعذاباً تتخلل ضلوعه نار تحمل معها زفرات أو نسمات الحب الحارقة الخارقة الآسرة الساحرة لتعلم بها الدنيا كلها .

فالزراعة مصدر رزق كريم وسلاح قوي هام جداً واستراتيجي خطير ، فعلى أصحاب رؤوس الأموال أو الطلاب الذين يحجمون عن دراسة هذا المجال الرائع المفيد في جامعاتنا وكليات الزراعة المتقدمة في مناهجها وكوادرها ومعلميها أن نذكرهم أن هذا المجال يحظى باهتمام زائد عند الدول الحضارية وأن ديننا الحنيف قد حث على الزراعة وجعل الرزق الوفير في التجارة ومكامن الأرض وقد قال الأجداد في تراثهم : الفلاحة فلاح والأغنام غنم والحب والحنان حياة ، فلنعد إلى أرضنا ! ولنحبها بصدق ! فتقبل علينا بأحضانها تغمر ناحباً وحناناً دافئاً فالحب ساحة شرف إما نصر أو شهادة ، وأسوء مافي الحياة الإنسحاب من ساحة التعامل معها والركون الى الكسل والخمول والجمود ، وإن تدمن على تناول العقاقير المهدئة آنس الف مرة من الموت المحقق والرضا بالجوع وفضلات طعام وصدقة الناس دونما سبب أو حاجة .

قال له جده : ضرب لنا الأجداد مثلاً صادقاً في حلاوة الصبر تلك الطيور التي تخرج وتدخل بين الأشواك والمجاهل تفتش بين أغصانها مرسلة أنغامها البريئة صادحة مزقزقة تحمل الرياح معها سحر أصواتها حتى عنان السماء وأعماق الأرض فعلى العقلاء أن يبتسموا للحياة والقدر فلكل عقدة حلال وعلى المرء أن يقوي حبل صلته مع الله وأن يدعوه دوماً بالتوفيق وليس أبلغ ايصالاً للحاجة من صاحبها المتوجع أو الملهوف كذلك الذي استأجر رجلاً ليدعو له فقال له رجل صالح : والله لو أعطيته مالك كله ليدعو لك ما استجاب له الله الغني الحميد ، فأنت أحق بعرض حاجتك على خالقك فالدعاء مخ العبادة ، وكل جند الله مسخر لراحتنا باذن الله وهل تنتظر تلك الغيوم العتيقة التي تغسل الجبال وتنبت الزرع والشجر من أحد مكافأة غير ارضاء وجه الله تعالى ؟!

مكثت سنين طوال تنتظر القدر تبادله حباً ساكناً بينما كانا يحترقان بأجواف حيية بريئة لتقول أخيراً لصديقتها : ماذا سيقول الناس الآن وقد أصبحت عجوزاً لا أمل لي بالإنجاب إن تزوجت ؟ " فردت عليها :" سيقولون صدقت في حبها وبرت ، وهل تنتظر عتاق الخيل أن تُلد مهراً أو فلواً فتتقاعس عن خيالها فتحجم عن خوض المعارك لتحمل عار الهزيمة والإرتكاس عن تكملة المشوار ؟ " وهل تنتظر الأشجار المباركة أن تلد فسائل أخرى ، فلا تثمر أو تعطي أطيب الثمر والورود ؟ وهل تنام أمهات النحل العاملات المخلصات والأزهار أو تهاب من اقتحام الأشواك وتخلل الأزهار والأشجار والورود والنباتات فترشف الرحيق الحلو صانعة الشهد الشهي ، وكثيراً ما كانت لقمة سائغة لدبور أو أحد القوارض أوالحشرات أو نيران الأدخنة وسموم بني البشر . لا يثنيها عمرها أو مصيرها عما هي مقدمة عليه .

أما الرزق فالله كفيل به وكما قيل : لو ركب الإنسان الريح هرباً من الرزق لركب الرزق البرق ودخل في فيه .

ولقد أحب الله التفاؤل في الحياة كلها وقدّر عمارة الأرض وحرّم على الإنسان إماتة ارادته ومشاعره بيده ، فالعظماء تطول أعمارهم وتحسن أعمالهم ويهربون من التقوقع والجمود هرب اليمامة من الصقر أو النسر الكاسر أو المعافى من الداء الفتاك أو السيل الجارف العارم ، ولنعم المرء يبتسم للحياة بقلب كبير ينبض حباً عظيماً ! والخسران كله للأموات وهم أحياء دون علة أو سببٍ سوى الجبن وسوء الظن بالناس .

وراء كل رجل عظيم إمرأة

يقول كاتب مبدع : مضى لها زمن طويل لم تغضبني فيه متعمدة ولو لمرة واحدة ، فتعمدت أن أغضبها لأذوق طعم الدلال أو الهجران فتترك البيت أياماً لأشتاق اليها بعد ذلك ، فلم تتزحزح عن باب البيت .

لقد كانت تفهم اشاراتي وحركاتي وسكناتي وأسارير وتجعدات وجهي لإنفعالاتي المتغيرة المتباينة فتتصرف معي حسبها دون منّة أو أذى أو تشنج ولم تخاطبني مرة باسمي بل بكنيتي .

فهذه هي الحياة السعيدة حقاً ، فالزوجة الصالحة تكون ستراً للرجل تشاطره همه وحزنه وفرحه ومشاعره وأعباءه ولو بالكلمة الطيبة والمشاعر الصادقة فنظرة الحب والعطف منها تفتح له سبل الحياة وإن كانت وعرة ، وهي تمازحه وتداعبه وتصدقه كي يشعر أن وراءه من يغار عليه ويحمي ظهره ويتغنى به ويخلص له .

ولقد شهد التاريخ عامة والعربي خاصة أروع وأسمى الأمثلة لنساء خالدات ماجدات وفين لأزواجهن وشحنتهم بالرجولة والشجاعة والمروءة والعبقرية وما من شاعر فحل الا تغنى بمحبوبته أو زوجته التي كانت ومازالت تأسر قلبه وهذا كعب بن زهير يقول في مطلع قصيدته أمام رسول الله (ص): بانت سعاد فقلبي اليوم متبول..

فخلع عليه بردته وسامحه بعد أن كان قد أهدر دمه لما كان منه من موقف محارب لله ولرسوله (ص) فعاد تائباً مؤمناً مخلصاً يدافع عن الإسلام وأهله . يوشك أحدهم على الإنهيار لمعضلات شديدة أحاطته فأحياه الله بحب فتاة متقدمة في السن ، فوضعت في نفسه الثقة وزودته بدفعة أمل وجرعة حب كنسمة الهواء اللطيفة أو كالإيماءة السحرية التي تحيي روحاً توشك على الموت فتنقذ من يوشك على الإنهيار أو الإحباط أو الفشل .

ولكن الحساد أوقعوا بينهما بشدة فجفته فتلوع بها فأرسل اليها قائلاً متمثلاً قول الشاعر :

لو شئت أن أبكي دماً لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع .

وإني لرغم يأسي من جفائها لي فإني أتتبعها لعلي ألحظها فأنتشي لتلك اللحظة التي

أرمقها فيها ، واليأس يعلم الجبان الشجاعة وعلي محاولة الغريق حتى يفرجها الله تعالى ولن أقطع حبلاً للنجاة مده الله لي بحبها .

الفتـاة : مـا أروع الكلمـة الصـادقـة في النفس ! ومـا ألذ نشـوتهـا ! فـهـي أقـوى من السـيف والسـلاح وأثمن من الذهب والـفضـة والمال وهي الأنجع من بين كـل الأدوية في العـلاج والوقاية من مـرض الحسد والكيد والظلم والعدوان ، فـهي النسمات التي تذهب حر كل قلب محترق والدفء الذي تركن إليه كل أعضاء الجسم المضطربة المهتزة ألماً وعذاباً وقلقاً ،فقد صدق محبي وصبر وسأكفئه بما يستحقه .

إلــى أهالــي الخيــر

تنشر النتائج النهائية للدراسة الثانوية العامة فتبيض وجوه وتسود أخرى ، أما الذين ينجحون فيقضون أياماً وليال محرجة متعبة كي يقبلوا في المعاهد أو الجامعات ، وحتى الذين يقبلوا منهم فستكون هناك أعباء جسيمة على أهلهم لتكلفة دراستهم تلك المرحلة الشاقة الصعبة الموصلة الى بر المجهول لا يدري المتخرج فيما هل سيحصل على وظيفة أم سيبقى قابعاً بين جدران منزله يطالع الصحف والمجلات على أحر من الجمر أو يتذلل لهذا ويرجو ذاك ينتظر فرصة عمل مهما كانت وأنى وجدت .

وإنا لنسمع أن هناك قلة تدرس على حساب أناس محسنين هبة أو ديناً فالخير لا ينقطع من مجتمعنا الأبي رمز الحب والعطف والتعاون والحنان العظيم وأحمدالصفات .

ولن يضيع أجر محسن في الدينا أو الآخرة ، وعلى طلابنا تنويع مجالات دراساتهم أما الرزق فإن الله كفيل به وهو الذي يرزق الدودة العمياء في قلب الصخرة الكأداء المعلقة أو في أعماق الأرض .

جاءت به الأقدار الى جزيرة صغيرة وسط بحر لجي ، ولم يستطع الخروج منها ، فأنبت الله له شجرة رمان تثمر طيلة العام ، ونبع ماء عذب ، فكان يعبد الله وعندما اقترب أجله بعد خمسمائة عام دعا الله ألا يأكله الدود فأماته وهو ساجد ، وقيل أن جبريل (ع) كان يراه كلما نزل على الأرض وعند الحساب يأمر الله تعالى به إلى الجنة برحمته فيقول : يارب بُعملي ، ويكرر ذلك ثلاثاً ، فتوزن عبادته كلها لترجحها نعمة العين لوحدها فقط ، فأمر الله به الى النار ، فيخرج فيقول : لا ، يارب ، برحمتك ، فيأمر به ليعود الى الجنة .

وإلى أهالي الخير في أردننا الحبيب نقول : ما خاب من أسدى الجميل والعون الى المحرومين والعاجزين عن شق دربهم في الحياة وإن مساعدة طالب فقير لهو مشروع خير جزيل، يزرع الحب والعون ويزيل الحسد فالحب هو أشرف وأقوى الروابط بين المخلوقات يعززه التعامل والتفاعل الإيجابي السليم ، وما حركات الكون كلها سوى استجابة لنداء الحب وفعل الخير، وما عكسه الا الكره والموت والقتام الذي ينتهي بالدفن تحت أنقاض الزمن ومزابل التاريخ وثناياه ومستنقعاته التي لا يطيقها أحد .

البيوت العامرة

كانت كالوردة تسكن احدى الكهوف مع زوجها في قرية نائية تلك الأجنبية التي أخلصت لزوجها وشاطرته مرارة العيش وحلاوته تغمره بالعطف والحب والحنان العظيم وتبشره بمستقبل واعد ونجاح متوقع .

فقال عجوز : هكذا كانت نساؤنا وليت الكثير منهن اليوم يتعلمن من هذه حق الزوج وحرمته ومشاطرته أعباء الحياة كي لا يتشجع شبابنا ويتزوجون من أجنبيات فتبقى حرائرنا عزباوات ، فنساؤنا هن رمز الوفاء والحب والمروءة-أحب شاب فقير ابنة رجل ثري تربت في عز ودلال فطلب يدها فمانع والدها بشدة ، ودعاه ذات يوم ليحسم الأمر معه ، فواجهه معبساً بجلافة وخشونة متوعداً اياه إن كرر خطبتها ، ولكنه رآه صلباً شجاعاً صادقاً في حبه فجازف بورقة حوالة مالية قدرها عشرة آلاف دينار دفعها إليه كي يخطب غيرها ، فتألم الشاب ومزقها مقسماً ألا ينساها أبداً ، فانصاع الوالد لطلبه ، وكانت تحتطب وترعى الغنم ولا تفارقها البسمة دون تشكّ أو تذمر ، وما هي إلا سنون قصيرة حتى أثراهما الله ؛ فالخير يربو الى أهله ويكلؤ المحبين الأوفياء .ولن يذل الله من تعلق بحبله وقصده وتوكل عليه والبيوت العامرة هي التي تقام على الحب وإن تعذب أصحابها ، فالله تعالى يجعل للأمور العظيمة مسارات وطرق طويلة وعرة محاطة بالمخاطر والعذاب والتضحية والصبر حتى تعرف الإنسانية قيمتها فتخلدها وتمجدها فما أطول ليل المعذبين ! وما ألذ مواكبة عذابه رغم مرارة معاناته ! كان أبوها يكرهه ويطرد كل من حاول التحدث بشأنهما ، فخطبها رجل وجلس العروسان على منصة الفرح فقال العريس مازحاً : أخذتك رغم أنف أبيك التعيس : فوصل الخبر والدها ، فأقسم الا تكون زوجة له ، إذ أنه أهانه وابنته معاً وهي مازالت في بيت أبيها ، فكيف سيكون حالها بعد ذلك ؟ فطلقها فكانت من نصيب محبوبها الأول ، فالحياة

الزوجية الناجحة بحاجة إلى دراية وتلطف،كذلك الذي مر من بستان لرجل جلف فنهره مغلظاً له الكلام مستلاً سيفه ، فرد عليه الرجل مبتسماً : والله اني اخترت بستانكم دون غيره لسماعي عن كرمكم وحسن خلقكم ، فتركه وشأنه ، ثم أن رجلاً آخر فعل ذلك ، فشتمه صاحب البستان فرد عليه الرجل كما قال وسب فقتله فدارت معارك بين جماعة كل منهما ، فقال قائل : حقاً إن الكلمة الطيبة لأقوى من السيف والرمح، وأروع وأنجع ألف مرة من كل ما هو سواها كالعنف والتوبيخ والتهديد وحمل السلاح والتحدي .

لا بد للمصدور أن ينفث

أرسلت اليه تقول : أهكذا استطاع سقط الناس وأسافلهم أن يثنوك عن طريق المجد والصمود ؟ أما علمت أن طريق الحب طويل ، مرير، مبك ، شائك ، خطير ، تتظافرمخالب الصديق والعدو والقريب والغريب في أطباقها حول أعناق المحبين المعذبين الذين يجب عليهم الصمود والتحدي وصعود سلم النجاح درجة درجة بتأن وثبات وحذر ؟ كذلك الجائع الفقير ذهب لاصطياد سمكة فوقف فوق صخرة يرقب حظه ، وكانت إذا ما دخلت سمكة في حمى الشبكة حتى تلتهمها سمكة كبيرة تختبىء بين مجموعة مرجان متراصة ، حتى كلّت قواه ، فأراد الإنصراف ، ثم أنه صبّر نفسه فإذا بالشبكة تصبح ثقيلة وما أن رفعها حتى كانت تلك السمكة الشرسة بها ففرح كثيراً وعاد بها ، وكم كانت فرحته عندما وجد جوهرة ثمينة في بطنها ، جزاء صبره وكفاحه وصموده أمام التحديات .

أو ذاك الشاب المدلل الذي اضطره أهله للسفر مفارقاً أمه الرؤوم رمز الحنان والعطف ليذوق مرارة الغربة فيفشل في نيل الشهادة المفترضة وهي الطب وكانوا يرسلون مبالغ خيالية كحافز للدراسة ولكنها لم تفعل أو تفد شيئاً إذا زادته ضياعاً على ضياع وعندما أنهى السنوات المقررة المفروضة المعلومة حار دليله وصحا ضميره ليرى شريطاً أسود مخزياً أمامه فماذا سيقول لأهله بعد تضييعه لكل ما وفروطيلة حياتهم ؟ فترك المدينة التي كان بها وللأبد وبدأ رحلة شاقة جادة جديدة ليقاطع أهله سنيّن عدة فظنوا أنه مات ، فكان يعمل ويدرس في مجال آخر يحبه ويعشقه وهو (ادراة الأعمال والشركات) حتى أصبح رجل أعمال ثري غير متوقع في ذلك البلد الغريب ، ليرجع الى موطنه وقد وجد والديه متوفين بحسرتهما وعذابهما ، ونيلهما ثمار جهلهما وتسلطهما دون وعي واحترام لرغبة ابنهما وفعلاً لا بد للمصدور أي المكبوت أن ينفث أي ينفجر من ضغطه المتراكم في أعماقه .

لكل قفل مفتاحه

صحا الناس في جوف الليل الممطر القارس على صراخ ابنة الجيران الخجولة تقول لوالدها الظالم وهو يضربها بعنف : حرام عليك ، ماذا تنتظر بعد حبسي عشرات السنين وأنت تمتص دمي وتقتل انسانيتي ؟ فلك كل شيء ، واتركني أجرب حظي في الحياة ! وقد رزقني الله بآخر فرصة شريفة وقد اقتنعت بها بعد سؤالي عنه ، فلن أتراجع هذه المرة وسأتزوجه وبأي طريقة كانت ، إن لم تتراجع وتوافق ..

فوقع بين يديه وهو ذاهب الى عمله كتاب ملخصه : رأى أحدهم طائراً لا يكاد يفارق شجرة أخذ المرض والهرم يغزوانها لتجف ويتساقط ورقها ، فالطيور والنحل تعشق أشجاراً معينة لتداعبها وتتغذى على أزهارها وورودها فتغازلها وتأوي الى أغصانها فتألفها وتنشئ بينها علاقة حميمة وثيقة ، وترى الفراشات تقبل أزهاراً معينة وإن كانت باسقة وتأوي إلى قمم وذرى شاهقة لتسكنها وتضع فيها أعشاشها دون غيرها ، ولا تكاد تفارقها إلا طلباً لرزقها وإن وجهت اليها طلقات الصيادين وهذه حتمية الحياة السوية الإيجابية .

فأخذت القصة منه مأخذاً كبيراً وعاد الى رشده مؤمناً أنه لا بد من لجوء الفتاة إلى ركن قوي أمين غير أهلها يسعدها ويحميها عند كبرها من عاديات الزمان ويغمرها بالحب الدافيء والعطف ويوفر لها الأمن والحياة السعيدة الكريمة فالمرء كلما كبر وتقدم به السن يحتاج أكثر مما سبق إلى الإستقرار والعطف والحنان فهو يأخذ في الإنحدار نحو الضعف والكهولة واليأس .

أسر المجاهدون الليبيون جندياً ايطالياً أخذ يبكي بمرارة فسألوه عن ذلك ليقول ، بعد أن توقع الموت لشدة ما كان يلاقيه المجاهدون من تعسف وطغيان وظلم وقسوة الإيطاليين معهم: حضرت هنا مجبراً تاركاً خلفي حبيبتي ، فرقوا له وأطلقوه ، وبعد سنين طوال من ذلك أحب طالب عربي فتاة ايطالية من علية القوم ، فمانع أهلها بشدة متذرعين بأن العرب قوم جفاة متأخرين أجلاف ، فهب ذلك الإيطالي الذي أصبح عجوزاً ليشهد بحضارة وشهامة العرب وصفاء سريرتهم وطهر قلوبهم ، فيفرج الله على هذين المحبوبين فيتزوجا .

فتزول بعد ذلك العناء المرير أغبرة كانت متراكمة على قلب ذلك الوالد القاسي فيقول: إن من واكب أمراً ولازمه وصدق في موقفه فإنه سيحققه فلا أقوى من التركيز والثبات ليسحر العدو قبل الصديق ، وإن لكل عقدة حلالها ، وفي الحركة البركة ، ولكل قفل مفتاح، ولقد حل الله تعالى عقدتي بأهون الطرق عندما قال للشيء : كن فيكون ، وحان أمره وتم قضاؤه .

كان صديقاً وفياً له ، وعده أن سيصله يوم يصبح أميراً للمؤمنين ، فكان ذلك ليستلم خزائن عامرة ملأتها جنود الإيمان بكافة أنواع المال والحلي والنفائس من شتى بقاع الأرض ابان خلافة الوليد بن عبدالملك .

وذات يوم والناس جلوس عند باب القصر ينتظرون بلهفة وهم يتحدثون ، السماح لهم بالدخول على الخليفة الجديد سليمان بن عبدالملك ذلك الشاب الطويل الوسيم الذي لا تفارقه البسمة محاطاً بالعز والرفاه مع ايمان عميق في قلبه .

فجاء رجل في لباس متواضع وجلس جانباً لم يتكلم مع أحد فنقل الحاجب ما رآه منه الى الخليفة فأمر به فدخل واثق الخطا فاستغرب الناس ما رأوه ، فقام الخليفة إليه معانقاً هاشاً باشاً مذكراً اياه بما كان وعده من مساعدة وصلة اذا أصبح خليفة وطلب منه أن يعرض ما يشاء، فقال له الرجل : لي طلب واحد على أن تتحملني فيما أقول : فقال له الخليفة : لك ذلك.

فأخذ ينصحه محذراً اياه من بطانة السوء الذين يغشونه ويفضون به الى غضب الله ولا ينفعونه يوم لقائه .

فقال الخليفة : لقد سللت علي سيفاً ، فرد عليه : لصالحك وليس عليك فقام الرجل وانصرف ، ولكن النصيحة أتت أكلها ، فما هي الا أيام حتى مرض الخليفة مرضاً استشعر فيه دنو أجله ، فاستدعى الرجل الصالح ، رجاء بن حيوة رحمه الله تعالى ، فاستشاره في أمر ينفعه في آخرته ، فأشار عليه باستخلاف عمر بن عبدالعزيز (رضي الله عنه) ، راسماً له طريقة وهي أن يكتب وصية تبقى سراً بهذا الشأن ، فكانت خير وصية في تلك الأيام ، إذ ملأ ذلك الخليفة العادل الأرض رحمة وعدلاً وخيراً وصلاحاً وحناناً خالداً .

يقول أحدهم ناصحاً اياه الا يحيد عن هدفه الشريف : يكون العباقرة صامتين ظاهراً، ناطقين بحركة باهرة رائعة مبدعة باطناً فانظر الى تفتح الزهر والبرعم وخروج النبت من الأرض في بطء رتيب يؤدي حركات ساكنة صامتة بطيئة هادئة تكبر رويداً رويداً في أروع ما يكون! أما الثرثارون فتموت أعمالهم سراعاً ويتراجعون كريح اشتدت في يوم عاصف تنثر أمامها

كل شيء تجده فيتحاتّ أمامها كل نور زائف وورق جاف ونبت متداع أو بناء يوشك على الإنهيار ، ثم انظر الى عيون الماء في قلب الصخور العالية جداً يسحّ منها الماء كاللجين يروي النبت ويسقي الطير ضاحكة للشمس ، أتراها تلبث خالدة معطاءة لو كانت في قعر أرض خبيثة أو مرملة ؟ حتى وإن حام حولها الطير بزقزقاته البريئة ورقصاته الساحرة ، أو أمّها الوحش وعابري السبيل ومبتغي الرعي ليرموا حصياتهم يسيرون غور الماء ليرون دوائر متتالية أخاذة مزركشة ما تلبث أن تسكن وتحتها ماء آسن فيتركه كل من رآه متقززاً وإلى غير رجعة .

يقـول أحدهم بعـد أن احتـرق من تعـذيبها إياه ، واحبـاط كل حيلة ووسـيلة ومحـاولة للوصول اليها في عذاب يفلق الصخر ويجفف الماء فكلاهما كان يحب الآخر في أدب وخجل ويشك في حب الآخر له : مجنون من يدوس نعمته برجليه فيهجر من يتغنى به ويخلد ذكراه ، وما أعظم أنات المعذبين وأشنع وآلم من انتظار المحبين ! فـهم كمن ينتظر حكم الإعدام أو البراءة أو من غرقت به السفينة لا يدري أيحيى أم يموت ومتى وكيف ؟ أو كمن قطع به حبل النجاة أو كاد فلا يدري كيف وأين يرسو به الحال ؟ أعلى بر الأمان أو في هاوية مميتة أو كمن علق بجذع شجرة وما كاد يرقاها حتى قطع به الغصن متدلياً نحو هوّة سحيقة ، ولا يدري وقلبه يقفز فوق نحره أيكتمل قطع ذلك الحبل الواهي فيهوي به في أعماق سحيقة رهيبة أم يسعفه الحظ فينجو ؟ وقد سجنتني في حبها الجائر دون رحمة فلا هي تقطع بي الحبل ولا هي تحسن الصلة .أهي خائفة من مستقبل تشك فيه أم هي تعاقبني لوشاية ظالمة ضدي؟ وصدق القائل :

وفـي الزرازيـر جبن وهـي طائـرة وفي البزاة شموخ وهي تحتضر

وللمحبين الشرفاء قيم وشموخ رغم جراحهم المزمنة النازفة كأن لسان حالهم يقول :

من كان فوق محل الشمس موضعه فليـس يرفعـه شيء ولا يضع

فاشتكوه لقاض عادل صارم يقدس القيم والأخلاق ظانين أنه سيبطش به فسأله عن أمره وتحرشه بها فقال له وكان القاضي حكيماً لبيباً خبيراً بالحب ومسالكه وقد ظن أنه سيكذبه لجبروت ومكانة أهلها ولما لاحظه على الشاب من حياء وخجل وأدب :

أشهد الله اني لا ابتغي منها سوى الزواج العفيف وإني إذ أراها أعيش في عالم آخر من اللذة والنشوة والهيام ولم ولن أسمعها كلمة فحش أو بذاءة ، وإن قلبينا يخفقان معاً فتتكلم عينانا بلغة الحب والصدق والوفاء والحياء والحشمة بينما يلجم فمانا حياء واحتراماً لمبادىء مجتمعنا وعاداتنا وتقاليدنا ، ولكن إلى متى ؟ فإن الأمر ليس بيدنا ، فمن يحب أن يبقى معذباً ليله ونهاره ؟ فهل القلب ملك صاحبه ؟ والمحب المخلص كالنحلة تطوف الدنيا كلها تأخذ من كل زهر طيّب شذاه لتضعه في قلبها وباطنها شهداً وهي تفترش وتتوسد

العذاب والعناء لا يروق لها سوى ذلك ، ولقد طافت روحي جادّة كل صوب لتلتقي بروحها ، وعليها كسر هذا الحاجز العملاق بوقفتها معي وعندها سيحل الله عقدتينا ، فلكل ساعة نبأ وشأن ولكل عقدة حلال ، والمحب المؤمن يحمل عقل الشيوخ وقلب الشباب ، وذلك قدرهم فيقترن اسمهم بمن أحبهم يسمو مع مرور الزمن فيكون قوياً ساحراً نافثاً رغم أنف من أباه وكرهه ، فهذه هديتي بصدقي لها فيما قلت .

القاضي : أراه صادق اللهجة قوي الحجة شريف المقصد فعلينا جميعاً مباركة لقائهما والا فسيموتان حزناً ويخسران كل شيء، أمّا هو فقد ثبت في موقفه ، وعليها وأهلها التضحية من أجله والا فسيكونون كالناقة الجرباء توصف بالشؤم والنكد وسوء الإبتلاء وقد قيل ما قيل فيكونون كمن عض على أصابعه ندماً حتى أدماها فكره نفسه بعد فوات الأوان، ويبقى رأيك أيتها الفتاة وموقفك ؟

إياك من عمل تجازى بمثله !

يتحكم الوالد الجائر في أموال أولاده حارماً اياهم كل متعة ويحتبس فتياته عن الزواج رغم صراخهن بأنهن يردن استدراك الوقت والتمتع بالحياة ، فوجّه أحد أبنائه اليه ضربة قاصمة فافلت منه العصا مدعياً إنما أراد ضرب الحمار الذي يركبه والده ، فقال له : والله اني فعلتها مع والدي في نفس هذا المكان ، وسترى ما سيفعله بك أولادك .

ويحمل أحدهم أباه ليرميه من علٍ ليضحك أبوه قائلاً : اني عارف ما أنت مقبل عليه فقد كنت فعلته مع والدي ، فجزع الولد وعاد أدراجه خائفاً قائلاً : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وتركه ، وعاد ليحسن اليه حتى مات ، منتظراً حساب ربه له ويعرض أحدهم عن إمرأة مسكينة لا أهل لها مات عنها زوجها ، فأعرض عنه الناس عندما ماتت زوجته فلم يزوجوه لكبريائه ، فرجع إليها متذللاً ، فقالت : لا والله ، فلو كنت خلوقاً لما رجعت إلي بعد اعراضك عني ، فالحياة ليس مقياسها المادة والإنتظار من هو الأربح أو الأغنى بل هي الأخلاق والوفاء والحب والحنان العظيم وأحمد الصفات والتضحية.وقد تزوجت من غيره فرزقها الله ذرية صالحة أو تلك التي تركت زوجها يوم مات مدّعية الخوف من الأموات ،أو تلك التي كانت مدلّلة عنده حتى إذا كبر وأفلس أهانته وتكبرت عليه وتركته وأهملته ليبقى وحيداً،لتنتقل هي من بيت لآخر تسلي نفسها، فما هو عقابها من الله يوم لقائه ؟ ولكن مجتمعنا لا يخلو من نساء ماجدات ، كسلائل الخيل ، ويراها تخدم والديها المريضين وتحسن إليهما وقد تقدم بها السن فطلب يدها فاستغرب الناس ذلك فقال لهم : سترون انها ستملؤ بيتي حباً وسعادة ورحمة ، فالتي تكرم والديها جدير بها أن تكرم زوجها ، وإني سأكرمها وأهلها،فترك المكافأة من التطفيف كما يطفف المرء الميزان .

فكان منها ما توقعه ، أما هو فقد كافأها بحب وتعاون لم ير مثله وكان يكثر القول: إذا تمنيت فاستكثر وخير الأمنيات هو المرأة الصالحة التي تملأ قلبك حباً وحناناً عظيماً .

قال له جده : اي بني ! : إحي مالا بمال ، ولا تتأسفن على ما فات ! ، ولاترجون فرحة من لئيم ، ولا تتبعن يائساً في معركة ! فهو كاللص يستبسل منقضاً عليك دونما وعي أو رحمة كالسبع الهائج همه النجاة بأية طريقة فعليك اعطاؤه فرصة الهروب والنجاة واياك من عمل ستجازى بمثله من الله وعباده ولو بعد حين .

كان الرومان يلقون بأسراهم بين براثن الأسود ، أو في كهوف معتمة موحشة أو في آبار عميقة مفزعة ، أو من أعلى الشواهق ، ليموتوا أوحش ميتة ، فكانت نهاية دولتهم الأفول وضياع العز والجاه على أيدي حفاة عراة جاؤوا من أعماق الصحراء العربية .

واليوم تتحكم الدول العظمى في مصير الأمم المغلوب على أمرها ، فعليها أن تعي مرارة الظلم والتحيز والجبروت والعدوان،وتضع احداها ساعة الكترونية تعلن عن عدد الأسلحة الفردية والحوادث التي ترتكب والتي تصل الى عشرات الآلاف كل عام بحصيلة مرتفعة توازي خسارة دولة كبرى في معركة خطيرة،أليس هذا بعقاب رباني عظيم ؟ وكان عليها توظيف المبالغ الهائلة المنفقه في صناعة اسلحة الموت والدمار في تشييد مصانع ومزارع ومعامل نفع وخير لتوفر فرص عمل وعيش كريم للعاطلين عن العمل من أبنائها فتحارب البطالة والإجرام معاً ، فالأمة الحضارية هي التي تنشر العدل والنفع والمساواة والخير بين أمم الأرض.يقول ابن عباس (رضي الله عنهما في لهفة حارة لحب الخير للناس :(اني لآتي على الآية من كتاب الله تعالى فأود أن الناس جميعاً يعلمون منها ما أعلم ، وإني لأسمع بالحاكم من حكام المسلمين يعدل في حكمه فأفرح به ولعلي لا أقاضى اليه أبداً وإني لأسمع بالغيث قد اصاب البلد من بلاد المسلمين فأفرح به ومالي به من سائمة ولو استطعت أن لايقع الذباب على وجه من يجالسني لفعلت،ولأن أعول أهل بيت من المسلمين شهراً احب الي من حجة بعد حجة).

أما تلك الشعوب المغلوب على أمرها فلا خيار لها سوى العودة الى ما كان عليه سلفها ومعالجة أوضاعها ولو كان ذلك متعباً ففقئ الدمل يحدث لحظة الم ولكنها أهون من سنين عذاب طويلة.فما أصعب الإنتظار الذي يحيل الحلو مراً ويحرق الأعصاب ويعمي العيون ويذهب البصيرة ، والويل لمن كان أمره في يد لئام لا يعرفون للرحمة أو الحنان سبيلاً، فالرحمة والحنان والأدب والحكمة هي الملك الراسخ ، قال الشاعر :

الملك فوق لسان تحته أدب ... وتحت عقل على جنبيه عرفان

فالأمم الحية كالأفراد الأسوياء تأبى الموت وهي حية ، وتفرح للحياة وتكد من أجلها مهما كان وضعها وحالها مثبتة وجودها وانسانيتها وحسن تفاعلها مع الحياة ، فلاعاش من ارتضى لنفسه الموت بنفسه وطلّق الحياة وعشق العزلة والجمود والخمول كالوحش في أعماق المتاهات .

لا تسحبن غريقاً لا أمل في نجاته !

قال حكيم : لا تسحبن غريقاً لا أمل في نجاته ، فإنه سيأخذك معه قهراً فتذهبا معاً الى غير رجعة ، إذ ستدفعه حرارة الروح وحلاوتها الى جذبك بكل ما تبقى لديه من قوة يائسة كمن يتشبث بخيط العنكبوت أو يتعلق بقشة أو خيط واه ليخرج من أعماق الهاوية فتنقطع به وبمن يمسك به دون جدوى فتكون ضربة السقوط هي الأنكئ والأخطر والأصعب.ولتحاول انقاذه بحذر ودراية وتلطف ! ولا تصحبن امرء سوء مهما كان ثراه أو جاهه فإنه سيفضحك ويخزيك ! وعليك بذوي المروءة ، أما سمعت من قال :(اصحب السبع ولو يأكلك ولا تصحبن الرديء ولو يغنيك) ؟ واسدِ المعروف كلما لاحت لك فرصة القيام به!، فالمعروف وفعل الخير لا يضيع بين الناس،واجهر بالحق ولا تخجل منه !.

أورث مليونير أجنبي كلباً ورثة هائلة طائلة ، وتورث امرأة قطتها ضيعة قيمتها حوالي نصف مليون دولار ، وكانت هذه لم تتزوج ولم تترك شيئاً لشقيقتها الوحيدة ، وأوصت ببقية تركتها الى الجمعية الأمريكية للرفق بالحيوان ومؤسستين خيريتين .

ونحن نقول : أما كان لهؤلاء توريث هذه الحيوانات ما يكفيها كبقية الحيوانات ؟، أم هي أرقى وأقيم كما هو في عقلهم الباطن من حيوانات أو حتى شعوب الأمم الفقيرة البائسة ؟! وصرف هذه المبالغ في اطعام بطون جائعة واسعاد شفاه معذبة بحاجة الى نسمات الدفء والحنان في بلادهم أو بلاد أخرى .

ولكن حب الناس وادخال الفرحة في قلوبهم تركة وارث تتناقله الشعوب الحية العظيمة الحضارية مهما كان مالها ووضعها ، وكل يقدم قدر جهده وحسب ظرفه ، فالحب يكون بين النار والبرودة والعذاب والفرحة والمطر والجدب والغيوم والصفاء ولكنه يبقى الحب والحنان الدائم .

والناس ليست قيمتهم بالمنظر أو الشكل أو المادة أو الكلام المنافق المعسول ، إنما بالصدق والشرف والوقفات الشامخة والتي تسجل عليهم ، ما إن صعدت الممثلة الأمريكية (تيد نيرنر) المنصة حتى تعالت صيحات الإستنكار من الحضور إذ قررت إنشاء محمية للغزلان تقيها الصيادين وكانت من المنادين بحماية الحيوانات المهددة بالإنقراض ، ولكنها سمحت لنفسها أكل لحومها وصيدها ، لأنها أقل اللحوم احتواء على الكولسترول ، ناسية أن الكثيرين أمثالها يتوقون الى ما تتوق اليه ولا يجوز لها ايثار نفسها على الغير.

بالكاد حتى رأى وجهها المغطى صدفة فتأفف لكثرة تجاعيده قائلاً :" يا شايف الزول ، يا خايب الرجاء ، فقالت : لقد اشغل هذا الوجه عشائر عدة وأفاضل ووجهاء كثيرين ، اذ تبعني شاب مثلك قائلاً ما قلته أنت إذ فوجىء بوجه عادي وطول مليح ، فأجبته بكلمات مؤدبة أسرته ، ولم تفد حيلة لإقناع أهلي لزواجه مني ، فشاركته حباً دفيناً مكبوتاً ، وما لبث أن افتضح وتناقلته الألسن ، ووقفت معه رافضة كل خاطب حتى انصاع أهلي واستجابوا لوساطات لا حصر لها من وجهاء عشائر عدة ، فملأت عليه بيته حباً وحناناً شهد به كل من يعرفنا ، فإياك أن تحكم على امرء ما وفق منظره أو ماله أو ما قيل عنه فقد يكون ظلماً لحاسد حتى من أقرب المقربين أو الأصدقاء الملازمين ، فيكون الميزان هو الإحتكاك والمحادثة والتقصي لأخلاقياته وسلوكه .

اجتمعوا مرة فزارهم صديقهم بعد طول فراق ، فتجاهله بعضهم وجامله آخرون على مضض تدور أعينهم كالمغشي عليه خشية الموت ، حيارى ، أصابتهم الدهشة ووابل ما اقترفوه بحقه ، وجبناً من بعضهم خشية الإتهام بصداقته الوطيدة ارضاء لمنافسيه وحساده منهم ، ينما كانوا يقدمون له آيات الحب والوفاء والإشفاق على وضعه عندما ينفردون معه ، فقال في نفسه متألماً ناعياً عليهم نذالتهم وخستهم :

سبحان الله إن من الأصدقاء من هو كالكلب مهما أحسنت اليه وبللت جلده فلن يطهر أو يزكو بل يزداد لعنة وخسة وكذا الخنزير ، وأن قلوبهم مُرّة عشقت الخبث والتدرن واللعنة فلازمها ذلك فلا تقدر العيش أو النبض بلاه وينقلون لها منظره يكفكف دمعه على خديه إذ ذكرها ، فهو ضعيف لا يصلح له زوجاً لرقته وحسه المرهف فتثور قائلة : كذلك العظماء لا يعيبهم بكاؤهم فلعل قطرات دموعهم تخفف من نيران قلوبهم ، وهم الأزهار الطاهرة مهما هزها الريح أو ذبلت أو ماتت فإنها تملؤ الدنيا عبقاً وشذى وحناناً خالداً فتبقى بذورها زكية حية وإن غطتها الأوحال والرمال والمصائب ، أما أصدقاء السوء فهم كالعذرة مهما غسلتها فهي هي تفوح خبثاً ونتناً وقبحاً ولو غسلتها بعطر الدنيا كله وآويتها في قصور الذهب أو الفضة ولبئسن المادة هم ، وهم كقطرات المطر في عام مجدب تخرج الزرع والنبت ثم تنقطع فجأةفيموت الذي كان قد أسقته سراعاً ليحزن الناس والطير والحيوان

والنبت وكل دابة ومخلوق يعرفهم .

وتوجهت إلى أهلها قائلة : رأيت طفلة لم (تحسبها) أمها إذ دفعت أجرة السيارة فقالت لأمها ببراءة : ألست إنسانة مثلكم لا تحسبوني كأحدكم ، فلي مشاعر متقدة كأيكم وكذلك أنا فإلى متى سأبقى مقيدة ميتة الإرادة؟، ولا تكمل شخصية الفتاة أو تسعد أو تلمس كرامتها وفرحتها الأكيدة إلا بالزواج وخيره ما كان ممن أحبت وملأ وقتها حباً وحناناً عظيماً .

تركة لا يستفاد منها

كان حلاق في قرية شمال (وسكونسن) يخزن في عوده رزم النقود التي بلغت ١٤٠,٠٠٠ دولار في القرن الماضي ، وعندما ابتاعه رجل بمبلغ سبعين دولاراً بعد حين وجده لا يعزف جيداً ليجد تلك النقود بداخله قد عفا عليها الزمن وذهبت قيمتها .

ألم يكن هناك من هو بحاجة اليها ؟، وماذا استفاد صاحبها من تركته ؟ وماذا أفاد من آلت اليه منها ؟ .

أو صاحب مصنع للحلوى في أمريكا، يصنع من مادة الحلوى مناظر أثاث بيت كامل دون أن يسمح لأحد أن يتذوق طعمها ، فهي للعرض فقط ، ولا يأبه لمن يتوق اليها محروماً حتى من لمسها أو صبي ينساب لعابه من فمه عندما يراها .

أو ذلك الثري الذي آلت اليه تركة والده الشيخ فحرم أخاه الشاعر المغني منها متذرعاً بأن والده منع استقباله وتوريثه لفسقه ومروقة من عادات الآباء والأجداد ، فقال له أحدهم :

ولكن دعه يعزق حصته من أرض والده بدل أن يغني للناس متسولاً فخير تركة هي العمل الصالح وما استفاد منه لإسعاد الغير وملأ قلوبهم فرحة وحناناً! سأل أحد الطلاب النجباء معلمه عن وعائين لا يمتلئان أبداً، أحدهم كالجنة والآخر كالنار فقال له : وما هما ؟ يختبر ذكاءه ، فرد عيه : أحدهما خزائن الأثرياء، خاصة البخلاء منهم لن يشبعوا أو يفيدوا غيرهم يحترقون بها في دنياهم وآخرتهم وفي قبورهم مهما كثرت وتلألأت ، أما الآخر فهو عقل العالم والحكيم والأديب لا يشبع من العلم والحكمة والأدب، فهو الجنة والرياض الغناء تسعد كل من قصدها أو جاورها أو نظر إليها فتملؤ قلبه حباً وحناناً نافعاً فانتشى معلمه من لباقته وحكمته وذكائه وروعة قوله فقال : حقاً إنك حكيم ايها الطالب الصغير في عمرك الكبير في عقلك ، وصدقت فيما قلت ، ولكن من العقول المفكرة ما يفيض دوماً بالفكر والنفع والعطاء كسيل لا ينقطع عطاؤه وبركته ونفعه وذلك ميراث الإنسانية الحق إذ يخلد صاحبه ويسعد البشر من عدو أو صديق ، فهو النسمات المباركة والأثير المنتشر يسمو ويرتفع ويخلد مفرحاً لقلوب الشرفاء والعظماء، ومنغصاً لأشربة الحساد والسلبيين والجبناء الغير أسوياء .

طريق المحبين طويل

أحب كليب وائل زوجته المشؤومة حباً ذريعاً ولم تفطن تلك التعيسة الى غيرته وعقبى فعلتها النكراء التي كانت ثمارها رأسه وإخوانها وآلاف القتلى من القبيلتين الأختين العزيزتين إذ كان في كل مرة ، يتدلل فيها عليها ويسألها أتحبين أحداً أكثر مني ؟ فتقول : نعم، أخي،حتى قتله جساس فصار ما صار ، ولم يفلح والده في اصلاح الوضع والذي كثيراً ما نبّه الى فداحة المآل اذا ما عارض أحد رغبة ذلك الملك المتسلط المتكبر الذي آل إليه ملك قبائل عدنان كلها ، ولم يستطع عقلاء العرب اصلاح الوضع المتدهور جداً الا بعد فوات الأوان وانهاك الحيين في حرب البسوس المعروفة. ومن الحب الآثم حب الذات مما يقتل ويضر ويفسد كما حصل في حرب داحس والغبراء إذ حسد قائد ذبيان خيل قيس بن زهير العبسي أمير بني عبس الذي حاول المستحيل تفادي شروره وحسده ولكن دون جدوى فاندلعت تلك الحرب الطاحنة بين الحيين الأخوين فتفانوا ولم يستطع العرب اصلاحهما الا بعد سنين طوال ، والتي أفرزت البطل الأسطورة عنترة الخيل ومحبوبته عبلاء .

والمتتبع لهاتين الحربين وما شابهما يجد فيهما وقفات انسانية رائعة غريبة ، ومجحف من ظن أو اتّهم أصحابها بأنهم سفهاء بالفطرة بل هم أفضل من كان حولهم من أمم الأرض ولكن ضياعهم بسبب عدم وجود قوة نظامية مخلصة توحدهم،هي التي كانت سبباً في تلك الفوضى، وما أن دخلت هذه القبائل في دين الله أفواجاً حتى حملت راية الإسلام العظيمة ، ليبهروا الإنسانية كلها بعبقريتهم وإنسانيتهم وفضائلهم،وصدق رسول الله (صلى الله عليه وسلم) إذ يقول : " خياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام أن فقهوا " .

وكثيراً ما حصلت حروب مؤسفة في القرون المتأخرة بين الأهل والعشائر الواحدة وذلك للسبب نفسه من ضياع اليد التي تمسك وحدتهم ، وما أن حلت الحكومات المخلصة كما هو في أردننا الرائد الشامخ حتى كان حضناً دافئاً أميناً رزقه الله تعالى بمنحة وهبة قرشية أبية استمدت قيمها من أصالتها ومن خلق حبيب الله جدها الرسول العظيم محمد (ص) فعاش الناس فيه بنعمة من الله إخواناً متحابين يزرعون ويبنون ويعمرون كل شبر فيه بحب ورضى وتحمل لكل طارىء وضغط وظلم وتعسف من أعدائه الذين يريدون اركاعه ولن يركع بحول الله تعالى لفضل وحكمة وحنكة وإخلاص قيادته الهاشمية الفذة وشرف محتد قبائله

وعشائره المتراصة المتكافئة الواحدة وترابه الظهور الذي غسل بدم الصحابة والتابعين والمجاهرين فيقول لنا : لا عليكم أحبكم فأنتم مني ولي وأنا منكم ولكم ، كتلك المحبوبة التي أرسلت إليه لتطمئن بعد إعيائه من صعوبة حاله : إن طريق المحبين طويل ، فوالله إني لأحبه حب الجنون ، وعلى المحبين أن يذوقوا الحلو والمر طريق الخالدين حتى يخلدوا ويفوزوا ويسعدوا .

الكنز الثمين

كانت بارعة الجمال فتقدم اليها ذلك الشاب الوسيم الذي يحتل مركزاً مرموقاً بين أهله وعشيرته ولديه ثروة طائلة فقال له والده :

أي بني اني أنصحك بفلانة فلا يضيرك كبر سنها وعدم جمالها فهي مؤدبة خلوقة ستغمرك بالحنان الدافىء ، أما التي أخترت فإن أمها كانت أذاقت زوجها ألوان العذاب ، والفتاة تكون أشبه الناس بأمها ، الا إنه تزوجها فقضى معها سنوات أليمة فأضاعت ماله فكان يجلس وحيداً فيظن الناس أنه هانىء البال سعيداً مع زوجته لا مشاكل عنده وبعد موته ودفنه قرأ الشيخ على الملأ وصيته :

تعس وخسر من تزوج امرأة لمالها أو جمالها إذ يذهب كل ذلك ويبقى ما تحته من سم الأفاعي ونيران جمر الشر المتراكم في قلبها تثيره سوء تربيتها وخلقها الذميم، أما النساء الصالحات فإنهن يغمرن أزواجهن بالعطف والحب والحنان مهما كان حالهن وعمرهن وذلك هو الكنز الثمين .

فما الحياة كلها الا شرف التعامل بصدق ورحمة سواء بين الأصدقاء أو الأزواج أو الشركاء. يقول الشاعر :

تحملت خوف المن كل رزيئة ... وحمل رزايا الدهر أحلى من المن

وعاشرت أخداناً فلمّا بلوتهم ... تمنيت أن أبقى وحيداً بلا خدن

اذا عرف المرء القلوب وما انطوت ... عليه من البغضاء عاش على ضغن

يرى بصري من لا أود لقاءه ... وتسمع أذني ما تعاف من اللحن

وأخدانه هم اصدقاؤه والذين هم الأعداء إلا ما قل .

وفي هذه القلة القليلة الخير كله رغم أنهم يحاربون ويعرون، فالمياه الآسنة والأوحال القذرة قد تجرف الكنوز الثمينة ولكن كل يسير إلى حقيقته وأصله فتظهر الحقائق وتتألق الكنوز .

أقام الفراهيدي شيخ أئمة النحو وموجد علم العروض في خص من قصب لا يقدر على فلسين وتلاميذه يكسبون بعلمه الأموال ومن شعره :

وإذا افتقرت إلى الذخائر لم تجد ذخراً يكون كصالح الأعمال

وعندما احتارت في أمرها قالت لها صديقتها الوفية :

احسم الأمر فإما مع الله أو مع الشيطان ، فالله يريد للمرء الحركة والتفاعل مع الحياة ، والزواج الشريف والفرحة،أما الشيطان فيريد له العزلة والعزوبية والقهر والحرمان.

مما قيل عن الأدباء و العلماء

في إحدى النشرات الطبية العالمية قيل أن الأدباء والعلماء يصابون أكثر من غيرهم بداء الكآبة والقلق والأرق والضغط والإرهاق والنوبات وهذا صحيح فهم صناع فكر الأمه يتحتم عليهم أن يجهزوا ويقدموا لها أشرف وأصح وجبه فكرية ، وعليهم أن يكونوا مخلصين للأمة متفانين في التغني لها وللوطن ، مترفعين عن الدنية والإستجداء .

سمع امبراطور مغولي شاعراً عربياً يلقي قصيدة رائعة في عيد المولد النبوي الشريف فأمر له بعطية فاعتذر عن قبولها تعففاً ، فأمر له بعطية ثمينة جداً وهي أن يملأ كفيه على اتساعهما بالماس كل عام ولمدة عشرة أعوام فالمفكرون يحملون رياضاً غنّاءً في عقولهم وقلوبهم مسيّجة بالعفة والقناعة والعزة والرضا والسحر وقوة المنطق،فكم من قلة منهم سحرت لباب عظيم وهزت فؤاد جبار وطوعت قلب قاس شارد جاف ليمتلأ حباً وحناناً عظيماً ووفاء خالداً!، فالقلب قبر إن كان خالياً من الحب،وماذا يبقى لصاحبه إن كان قلبه قبراً ؟

كل إناء بما فيه ينضح

شتمه مازحاً ، فرد عليه بعنف ، وما لبثا أن تصالحا ، وبعد مدة كرر صاحبه المزاح الثقيل معه ، فلم يرد عليه ، وكأنه لم يسمعه ، كي لايعود لسانه على الكلام القذر كصديقه مريض النفس ، قليل الحياء ، فالإنسان السيء لو غسلته بعطر الدنيا كله لبقي سيئاً كما هو، ولكن الإنسان السوي بصبره وتحمله أذى ذلك النوع السلبي فإنه يصون كرامته بتمالكه نفسه وحفظه لسانه،فطوبى لمن زرع كلمة طيبة في قلوب الناس ينشرها عبقاً مباركاً يشنف أذن سامعيها ويسعد قلوبهم ويفرحهم كمن يزرع شجرة مباركة على جنبات الطرق أو في أعالي الجبال الجرداء أو في أعماق الصحراء الموحشة.

والويل لمن قذف بكلمة مسمومة قبيحة قاسية في قلوب الشرفاء ، فإنه يهدم جسور الثقة بينه وبينهم بدل أن يبنيها ، كمن يقلع الأشجار المباركة أو الورود أو الأزهار والرياحين من كل مكان توجد فيه ، دافناً اياها بالأتربة والأغبرة والجفاء والقطيعة، لا لشيء الا لمرضه النفسي الخبيث ، لأن كل انسان يعمل بما جبل عليه وكل اناء بما فيه ينضح .

وقد عجب رجل مرور لحافله قذرة لا يبدو منها سوى اسم الشركة واتجاهها ، حيث أزال السائق الأوساخ عنها فقط دون غيرها ، بينما كان مسجله يرفع انغامه حتى عنان السماء، فقال له ، ليتك انتبهت قليلاً لنظافة حافلتك وخجلت من أعين الناس التي تتفاعل مع أي منظر تراه سلبياً فتمقته أو ايجاباً فترتضيه وتباركه ويبقى ذكرى وحناناً خالداً في ذاكرتها ، ولكن الإنسان يعمل حسبما تربى وتعود عليه من ديدن أو خلق حميد أو سيء.

وعندما تألب عليه أصدقاء السوء وتداعوا كلهم من أجل احباط لقائه بمحبوبته ليتزوجها ، فسدّوا كل المنافذ الموصلة اليها الا أحدهم كان يشمئز من لقائهم المحموم كالكلاب على الجيفة يسنده صديق له حيي ضعيف النفوذ ، فاقسما أن يصارحا والدها المتعنت والذي يقف هو الآخر سداً منيعاً في وجه ذلك الرجل الشريف، فقالا له : ماذا ستقول للشرفاء عندما يلومونك على تحطيم قلبين ملتحمين ، وقد قيل : زوج ابنتك ولا تزوج ابنك!، فالفتاة أحق بالبحث لها عن شريك حياة سوي وذلك أصعب من البحث عن فتاة كعروس لابن أحدهم ، ولا نقول لك إلا الحق .

إياك أن تسب وطنك أو أهلك !

يثني الجد أصابع حفيده الواحد تلو الآخر بلطف وحنو ويأمره أن يضع ابهامه على جانب رأسه وليقل سبع مرات (وفهّمناها سليمان) وكان ذلك الوقت ساعة صلاة الفجر خير سبيل ووقت لوعي وحفظ ما سينصحه به فقال له :

المغامرة بلا جدوى شبيهة للإحجام والتراجع ، والكرامة والظفر المعنوي هي ألذ النتائج والمكاسب ، فاياك من مرافقة الخسيس أو الجبان أو الكاذب أو المتردد وإن كان يملك مال الدنيا كلها فالكلب كلب ولو طوق بالذهب وارتدى حلل الحرير مزينة بأغلى الجواهر ، وحذار من صحبة المتكبر أو اللئيم أو ذا الوجهين!، فهل ترجون حصاداً من زرع على صخر أو في صحراء مرملة لا ترى الا السراب وجبال الرمال المتنقلة ؟ وهل تتوقعن وروداً وأزهاراً ورياحين من عوسج أو سدر يلفه الشوك وتسكنه الأفاعي والسباع ؟ وهل تنتظرن أنغاماً ساحرة من غراب بت تعشقه وتعجبك وداعته وبريق ريشه اذا ما ضربته الشمس وداعبته الرياح ؟ وليتك تراه عندما ينقضّ على فأر أو حشرة أو يعبث بحديقة أو ترين عشه وما فيه من نتن وقبح ودماء .

ولا تنتظرن كم تربح أو تخسر إذا ما ساقتك الأقدار الى حومات الوغى ومقارعة الرجال! فالنصر والمجد والفوز لمرفوع الهامة منتصر الإرادة ، وتحل بالصدق والعفة والفهم ! فهي خيول العز والإباء وما عدا ذلك فهو مراكب الهوان والخذلان والإحباط ، فهل تأملن النجاة من ساحات الكر والفر المتّقدة بأتان أو بغل مهجن أو جواد أو فرس أو بعير تعس نكد ؟

ولا تحظين بمحبوبة سوء أو إمرأة حسناء في منبت رديء فإنها ستريك الوان الهوان والذل وتنغص عيشك وتقتل سعادتك وتسوء وجهك ! ولو وضعت كنوز الدنيا كلها بين يديها لرأتها رماداً وتراباً ولعنة ، فتسير بدون هدى وترى كل شيء عتمة أمامك ولو أحاطتك قناديل الدنيا كلها ، وستضرب بيد كالّة مجردة من كل سلاح ولو كان حولك الف فارس مسلحين كلهم بمايتسلح به الفوارس من قوة وبطش وسلاح .

وإياك أن تسب وطنك أو أهلك أو عشيرتك فهم دمك وسبب وجودك وإياك أن تفجعن محبوبتك بالخذلان والخداع وتقلّب المزاج وانتقاء فرص أخرى مبتغياً لذة فانية أو غنى زائلاً

أو جمالاً لا بد أن يتلاشى ولكن الحب الصادق هو أشرف وأقوى وأبقى علاقة وهو وسام للناس الشرفاء !.

أخذ يرجوه أن يشغّله شاكياً له سوء حاله وانحباس رزقته فرقّ له قلبه ، ووجد له عملاً شريفاً براتب مجز ، وعزم الذهاب إليه ليخبره بذلك ، ولكن رجلاً أحضر له سيارة جذابة من الخارج ليعمل سائقاً عليها ، فنسي صاحبه ومرّ عنه وهو قادم اليه مبشراً اياه بذلك العمل ، ولم يطرح عليه السلام وتجاهله ، ففطن له الرجل وكأنه يقرأ ما في داخله من نكران للمعروف وتجرد للصداقة فرجع من حيث أتى ، وما هي إلا بضعة أيام حتى ترك السيارة التي كانت مهترأة الداخل تماماً،ولكن وقاحته لم تجعله يتردد في التملق للرجل فأخذ يتعذر ويحلف له كاذباً أنه لم يره يومها.

فقال له : سمعت أن هناك أجهزة حديثة " كمبيوتر" تسجل ما يدور في ذهن الإنسان فتعجب الناس كثيراً وأخذوا يتخوفون من كشف مجاهل أسرارهم وخواطرهم وقطع علي الخط والتفكير تذكري لقوله تعالى " يعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور " وتذكرت انه تعالى يعلم كل شيء علماً مطلقاً لما كان ،لما سيكون ، ولا أفضل من الصدق وحسن النية والتعامل والتفاعل مع الناس بشرف ورؤيا وا .

وإن للصدق هاجس في القلب والوجدان والتلطف والحركة والتعبير والإفعال وهذا مما يجعل أفضل السبل للتفاعل والتعامل هو اللقاء وشرح وجهات النظر وقطع حبال الإفساد والوشاية والنميمة لإزالة الأضغان والأحقاد وسوء الفهم فكم متهم بريء ! وكم من عقدة حلها الله تعالى بكسر أقفال القطيعة واقتحام سوء الجفاء !

مكث سنين طوال بعيداً عن محبوبته التي ملكت كل جوانحه ، وكان كلما قصد صديقاً لها ليقربه منها وجده مخيباً لآماله فيرجع إلى بيته في أسوء حال ، فقال له صديقه الوفي : كل ذي نعمة محسود،وإن أعظم نعمة لك هو حبك لها وإني لأرى أنها تحبك أكثر مما تحبها ولكن أسوار الفتنة التي بنوها حولكما وجدران التنائي بينكما عالية وسميكة وصعبة ولا تزال الا بإذنه تعالى يوم يريد ذلك بالصبر والصدق والثبات ، وإن ما في قلبك هو في قلبها يقيناً وإن ما في القلب يظهر على اللسان وفي الأعين ، وإن ذكرك اياها دوماً ووفاءك لها سنين طويلة فلا أخالها تخيب آمالك وظنونك ، وكأني بها زوجة لك تغمرك بالحب الدافيء .

كنا نسمع عقد مقارنة لأروع أمكنتنا وعلى مستوى الساحة العربية بسويسرا لجمالها وهدوئها واستقرارها ، ولكنا أخذنا نسمع بأخبار مؤلمة حقاً وهي الإنتحار الجاعي لفرقة دينية جديدة شاذة وهم أصحاب معبد الشمس الذين أخذوا ينتحرون جماعات وفرادى هروباً من بطش الناس وشعوراً بقرب القيامة ، يموتون حرقاً وتقتيلاً وامتدت هذه الطريقة حتى وصلت كندا أيضاً .

فأين الحضارة والوعي من عبودية المادة وجمال الدنيا في سويسرا وكندا ؟ وثمة انتحار آخر غريب وهو تطليق الد ْ ا وملاذها وتحريم فرحتها ونشوتها ، فهل الحياة كلها الا استجابة لإرادة وقدر الله تعالى في ار الأرض وعبادته ؟ ولكن بتوازن بين العبادة والتلذذ الحلال بطيبات الدنيا وإن من أهمها على الإطلاق هو التزاوج فهو أكرم واسعد والذ لقاء انساني يباركه الله ويملؤه حباً ورحمة بل هو آية من آيات الله تعالى ، ، وإن عكس ذلك لهو الإنتحار والشذوذ والمرض النفسي القاتل كتلك المرأة المتطرفة التي منعت زوجها من مضاجعتها حتى يظهر المسيح فعافها ورفع عليها قضية للمحكمة كي تطلقها منه، وهذا النوع لا يقل خطورة عن أولئك المجرمين الذين يمنعون بناتهم من الزواج كي يأخذوا رواتبهن ، مهما ادعوا بأنهم مسلمين فهم كالنعامة تضع بيضها في أسافل القيعان، وتتوه عنها فتحتضن غيرها حتى آلت الآن للإنقراض فلا ينفعها ملمسها أو سرعة ركضها أو اخفائها رأسها وابدائها مؤخرتها ، حتى ضرب بها المثل في الغباء ، فماذا تقول الفتاة التي حرمها أهلها من التمتع بشبابها وأنوثتها بوجه شرعي؟فالمرء مهما ضحى للغيرفإن حب البقاء يسري في دمه مهما كابر وكتم الحقيقة، فقد قيل أن رجلاً سأل امرأة : إذا جاء عزرائيل فأيكم تقدمون له ، أنت أم ولدك ؟ فقالت : أنا فداه ، فجاء الرجل ليلاً في أغرب صورة ، على أنه عزرائيل ، فقالت له : اتركني ، وها هو ابني يرقد تحت ذلك اللحاف ، وقد قال سيدنا إبراهيم عليه السلام : (رب اغفر لي ولوالدي..) فبدأ بنفسه قبل والديه .

نسمع أن مريضاً اجريت له عملية جراحية فمن شدة الإهمال أو (الرهقة) نسي الطبيب المقص في بطن المريض أو بدّل كيس الدم بآخر أو لم يتمكن الطاقم المناوب من اجراء الإسعافات اللازمة لكثرة الجرحى أو ... أو .. فنمتعض كثيراً وقد يسامحهم صاحب العلاقة باعتبار ما حصل كأي حادث عفوي آخر ولكن هل يجوز أن يهمل الطبيب عمله الإنساني المرض ليعبث بوقته وسلامة الغير أو يتباطأ أو يعطي أدوية فاسدة أو غير مناسبة أو يستغل مهنته الإنسانية الملائكية الشريفة في أي ممارسة وعلى رأسها وأخطرها الأخلاقية ؟ وهذا ينطبق على كل مسؤول في عمله في المدرسة والمصنع والمعمل والمؤسسة العامة أو الخاصة الرسمية أو الأهلية فإن ذلك عمل وضيع بالغ الخسة والخطورة والخيانه .

وإن يستغل أصحاب الحقوق خصومهم الأبرياء أو الغير متعمدين بشكل مجحف فإن ذلك عمل غير إنساني ، رغم وجود الكثير جداً من الشرائح التي نفتخر بها رمزاً للتسامح والأخلاق والعفو والحلم وكثيراً ما سمعنا أن أهل المصاب أو المتوفي بحادث سير أو ما شابه ذلك قد سامح بكل شيء ، لا بل ، هناك حالات عقبها مصاهرة وتداخل وتفاعل إنساني مشرف صادق النية .

فالذي يتعمد الخطأ فإن أهل المصاب والدولة لهما الحق في عقابه ومعاقبته بما يستحقه كي يكون رادعاً له ولغيره قال تعالى " ولكم في القصاص حياة يا أولي الألباب " ، أما من يقدّر له أن يبتلى بمصيبة غير متعمدة ،فالأولى لأصحاب الحقوق أن يتسامحوا معه ويهوّنوا عليه مآسيه النفسية والمادية ، فلا أخال عاقلاً يحب أن يؤذي حتى طيراً أو نملة .

يقول أحدهم : لم تمسك كوابح السيارة معي رغم أني كنت معتدل السرعة فسامحني أهل القتلى وكانوا ثلاثة إذ كانت الأرض زلقة وبعد أيام قلائل يدعس أحد أقارب القتلى وكان قد اشترى سيارته تلك في ذلك اليوم قريباً لي ، وعندما حضرت الجاهة قلنا لها : هم بدأوا بالطيب ،فوالله لن نأخذ منهم شيئاً .

والذي يعنينا هنا أن البعض ممن يصابون ببلوى غير مقصودة ممن أحدثها فإنهم يبالغون في الإنتقام بل ويحاول البعض وبسبب (ثورة الدم) السداد أي الأخذ بالثأر وهذا الأمر منكر حرام، إذ لا يجوز الأخذ بالثأر إطلاقاً ممن لم يتعمد عمل الحادث ولكنهم

أخذ الدية أو المسامحة .

أما من يمارس الممارسات اللاأخلاقية في مهنته كما أسلفنا فهو أشد اجراماً ممن يرتكب أية جريمة أخرى ، لأن أعراض الناس كدمائهم ولم تسوّغ شريعة أو قانون في التاريخ أو ا مبدأ الوحشية في اقتناص لذة أو الخيانة ، وذلك ما يأباه الكثير من الحيوانات والطيور الا ما سقط منها دون حد الإعتبار ولذا وصفت بالبهائمية نسبة للبهائم ، وإن أسوأ علاقات الإنسانية هي الغريزة القذرة المحرمة ، وقد قيل أن شريفاً لازم حبه لمحبوبته سنين عدة لم يحظ أي منهما من الآخر سوى النظرة العابرة رسالة الروح للروح والقلب للقلب فأُشار أحدهم عليه أن يغازلها بيده ، فقال فلا والله أن يرانا مريض نفس فيلوكنا بلسانه ولكنا نصبر حتى يجمعنا الله تعالى .

من مأمنه يؤتى الحذر

مات أبوهم تاركاً أمرهم لله سبحانه وأرضاً واسعة ليلي أمرهم أخوهم الأكبر ، وما أن أكمل أحدهم شهادته العليا وعاد أثر صدمة عصبية إلى قريته ولم يعد يستطع مواصلة أعماله بينما حاول أهله كتم أمر مرضه وحجزه عن الناس ، فشاع نبأ جنونه في كل مكان فزاد ذلك من آلامه وعقده .

توسم هذا الرجل الخير في شاب صالح قصير اللسان أمين ليقول له :

إن أخي طمع في حصتي ولم يتق الله في ألمي ومصيري ليدمّر مستقبلي بثمن بخس يمارس تسلطه ونفوذه في المجتمع ناسياً أن الله سيعاقبه في صحته وأولاده وماله وأنه سيلاقيه يوجه أسود خبيث يوم لقائه ، فكم من زعيم مات مسموماً من أقرب المقربين دون أن يعلم بذلك أحد أو مقتولاً أو مغدوراً ! وهل تطفؤ النار بالنار وتستبدل الحياة بالموت قهراً، ويعالج المرض بالدفن والحرب النفسية الخبيثة ؟ فأنا لست مجنوناً ولكني مرهقاً متعب النفس ، ولقد أثقلني أخي بحربه واشاعاته فمن مأمنه يؤتى الحذر .

فزوجه ذلك الشاب على نفقته الخاصة ابتغاء وجه الله فرزقه ذرية ، فأخذوا حقهم عنوة من عمهم وكافؤوا ذلك الشاب الصالح وحفظوا جميله .

ويتزوج أحدهم فتاة غريبة فأحبها وأحبته ، وما أن زارها أحد أقربائها حتى لعب في عواطفها وأقنعها بواجب الرجوع الى ديارها ، فقيّد زوجها الذي كان قد أكرمه وعاد بها سريعاً وأطفالها متستراً بهم حتى وصل بهم أهله الذين استحسنوا الأمر لإقناعهما كذباً إياهم بأنها كانت مظلومة مضطهده ، وتركت زوجها باكياً أشد البكاء يتجرع فراقها وأولادها وليّ السنة أقربائه وشماتتهم فيه ، ثم تمر السنون فما من أحد شجع على نكبة ذلك الرجل أو شمت به حتى آل الى ما آل اليه ، ولحقه أذى وبلاء في ماله وذريته وكان أولهم زوجته التي خانته فذاقت أشد الوان العذاب .

ومئات القصص وآلاف الحكايات عمّن خانوا أحبتهم وأصدقاءهم ، فخذ مثلاً تلك التي ربط الشيطان بينها وبين خادمها في علاقة ليقتلا الزوج ويخفيانه ثم تكتشف جثته عندما اختلف ذلك العامل معها إذ تزوجا فيما بعد ولعلمها بمغازلته غيرها من النساء

اعترفت بجريمتها النكراء أمام القاضي بعد أن أقامت دعوة على زوجها الجديد لسوء معاملته لها .

وذلك الذي أمّنوه ليعتبره إبناً لهم ليجدوه قد سرق كل شيء في البيت إثر غياب صاحبه وما أن عاد الى منزله المنعزل عن قريته حتى وجده مقبرة في أبشع منظر من يد ذلك الخائن الذي ائتمنه على كل شيء بعد أن عمل لديهم سنين طوال اعتبروه ابناً لهم ، فالويل لقلوب المجرمين الذين لا يعرفون معنى الرحمة والحنان من الله .

وأولئك الأصدقاء الذين عملوا معاً في ديار الغربة ليأخذ أخبثهم في قتلهم وبطريقة لعينة الواحد تلو الآخر وهم يسيرون في قلب الصحراء ليرجع بمالهم كله ولكن دوريّة شكّت في أمره ليعترف عن كل جرائمه ، فالويل لمن خان من ائتمنه وأسكنه قلبه ووجدانه .

في ظل الحضارة العالمية الحالية

في ظل الحضارة العالمية الحالية حيث وصل التقدم التقني حد الخيال ولكن مصداقية العطف من بني الإنسان على أخيه لازالت في درجات السلم المتأخر إذا أصبحنا نسمع قصصاً مروعة يرتكبها بعض المجرمين في ساحات الحرب وضد المواطنين الأبرياء من تقتيل أو تعذيب وتمثيل ، كتلك الحوادث المؤسفة في شرق آسيا حيث يقتل الأسير ويؤكل كبده ، درءاً للهزيمة واستجلاباً للنصر على حد زعمهم وسوء اعتقادهم .

ومن جانب آخر بلغ عند شعب افريقي الأمر الى بيع احادهن ابنها بحوالي ثلاثة دولارات إذ لم يبق عندها شيىء ولم تعد تجد ما تتصرف به سوى تلك المحاولة المأساوية .

فما هو موقف الإنسانية جمعاء من هذه الويلات وغيرها في أماكن أخرى من العالم ؟ وأين قوى الخير والإحسان التي ينبغي لها استغلال كل لحظة في الحياة فيما ينفع الغير والنفس ، يقول ابن الجوزي مخاطباً النفس : ينبغي لك .. ايداع كل لحظة ما يصلح لها من الخير ومناهبة الزمان في الأفضل ، ومجانبة ما يؤذي من نقص ربح أو وقوع خسران .

ولا بد للإنسان أن يعلم أن السنين تنقلب وتتغير الأحوال وكما تدين تدان وليفعل المرء الحسنى مبتغياً الأجر من الله ! وعليه أن يصبر ! ويقبل الأمور ويحاول تغيير السيء للأحسن بشرف وصدق وتجمل ورضى ، يقول سعيد بن حميد :

لا تعتبن على النوائب ... فالدهر برغم كل عاتب

واصبر على حدثانه ... إن الأمور لها عواقب

كم فرحة مطوية ... لك بين أثناء النوائب

وعلى مفكري الإنسانية حث وتشجيع صانعي ومنفذي القرارات في العالم على صرف

الأرصدة الهائلة التي تنفق في تحديث أدوات الدمار نحو إقامة المشاريع وإسعاد بني البشر وتلك هي الحسنى بعينها وذلك هو الخير كله فقد قيل: أحسن إلى من شئت تكن أميره !.

وأخيراً فإن عجز الإنسان عن فعل أي شيء فليكن لسانه حاثّاً على إسداء النصح وفعل الخير فإن اللسان لما عودت يعتاد ، وإن مشوار الإنسانية طويل وإن دعاة الخير يسيرون على الأشواك لا على أكوام الورود والأزهار وإن كل شيء يزول غير وجه الله وفعل الخير وإسداء المعروف للآخرين .

من العبقريات

قالوا : عبقرية العقل ينبثق منها الإبداع والفكر والإختراع وعبقرية القلب ينبثق منها الحب والعاطفة الجياشة والصفاء ، ومن هذا وذاك ينتج المراس والتعامل والقيم والخلق والوفاء العظيم وأحمد وأنبل الصفات ، فالعقل السليم في الجسم السليم ، والتصرف القويم والنتاج الجيد هووليد الصدق والتجربة والدراية وتكرار المحاولة والصبر والجلد فمتابعتك للأمر وحرصك عليه يورثك حبه ويذلل لك الصعاب أمام إنجازك له وتألفه فكأن انجذابا مغناطيسياً متلاحماً يربط بينكما بقوة عظيمة .

يزور أحدهم صديقاً له فقيراً يعمد إلى شاة ليذبحها له فيمانع الضيف اشفاقاً عليه ليسمع زوجة الرجل وأولاده يدعون عليه :" الله يقطع نصيبك مثلما قطعت نصيبنا من لحمة أو عظمة أو قليل مرق ، فنحن ننتظر ذلك بعد طول انتظار حتى يؤمنا ضيف".

فيتألم الضيف كثيراً ويعود ليقول لصاحبه بذكاء وكلمة عابرة : اني عاتب عليك أشد العتب لمقاطعتك لي وكنت على عجل من زيارتي لك ، ولكن حبي لك جعلني أنسى ذلك الألم ويشدني اليك فسأبقى مدة أطول من ذلك على أن تعدني بالزيارة العاجلة .

فوعده وأقسم عليه أن يعمل له قرى مادام سيمكث طويلاً، وعندما أراد الإنصراف قال لصديقه : إن الأرض عندكم خصبة والهواء عذب فما رأيك أن أشتري عدداً من الأغنام تكون شركة بيننا ورأسمالها مني على أن ترعوها ؟ فسر صديقه وسعد بذلك .

فاستعمال العقل والقلب والعاطفة وتحريكها الصادق المستمر لهي درجات قوية متينة نحو النجاح والسعادة.قال حكيم في أواخر عمره : صرت كالقائم على الشط أنظر إلى آخرين ينكفؤون بين أمواج البحر فقيل :لوازدادت حكمته لمدّ لهم يداً ، ولما وقف ينظر كأن الأمر لا يعنيه ، فمنتهى الحكمة أن تكون قارباً للنجاة وحبلاً ممدوداً للمنقطعين .

وقيل لها إذ كانت في حيرة بين أن تحظى بمحبوبها زوجاً مع خوفها من طمعه في مالها وبين بقائها تتمتع بثروتها وقناعة أهلها بذلك ، بينما كان محبوبها يعاني أشد ألوان العذاب والإنتظار : ليس للمرء سوى ملأ قلبه حباً وعاطفه ومعدته ماء وطعاماً وبدنه كسوة ولباساً ساتراً ، فالمرأة فراش والزوج لحاف والحب وسادة والزواج درب وبساط السعادة الطويل،

ترسخه الأمانة والصدق والحب والوفاء العظيم، وتنزعه الخيانة والجشع وعدم الثقة فالرضا كنز لا يفنى ، وإن اليوم الذي يمضي لن يعود ، وإن وجهك الذي أخذ اللحم يتدلى عليه ليقتل نضارته وتنتفخ أطراف عينيك لتغمّ ناظريها فإنك خنتيها ولم تفيها حقها في التمتع وإمتاع من يستحقها في الحياة الدنيا عدا عما ستواجهيه من لوم يوم لقائك ربك لإعراضك عن سنته في الزواج الشريف ، وما ذلك اللحم المنحسر المتجعد سوى صيحة مبكرة متسارعة من نار الكبت والحرمان والعزوبية القاتلة ولن يرجعه لوضعه ولو لحين ويجعله يستقر في نضرته ويعيد له شبابه وتدب فيه الحياة مجدداً سوى السترة والزواج وإن نزف الولادة أو الحيض على أمل و في محيط اللا أمل وبحوره المعتمة العميقة في ساحة الحياة الشريفة إلا أمر طبيعي، ولكن حيض اليأس ودمه لهو الموت والقتل والقهر .

الهدية لا ترد

جعل الآباء والأجداد الهدية وسيلة مادية ناجعة لجلب الصداقة ودرء العداوة لما يبنى عليها من علاجات معنوية هامة للعقد المستعصية وتنمية العلاقات الحميدة ووصف العرب بنبالة النفس وعفتها وعدم استغلال الهدية كمكسب مادي بل كانوا يرصدونها ويكافئون من يهدي اليهم بما هو أفضل إذ يستعيبون رد المثل بالمثل .

وشجع الإسلام بذل الهدايا والعطايا شريطة الا تضر بمصالح الغير أو تكون لمصلحة خاصة لجنب منفعة من مال عام وقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :" تهادوا تحابوا"

وعلى المرء النبيل أن يقبل الهدية مهما كانت قيمتها وقد تكون بسيطة حسب جهد وإمكانية مرسلها فالهدف الأساس منها هو الناحية المعنوية وقد تكون قصاصة ورق أو وسام لا يكلف ثمنه شيئاً ولكن قيمته تعدل الذهب والفضة ، وقد تكون الهدية بسمة حانية أو إيماءة حنان وتقدير ، ولذلك جعل الإسلام من التبسم في وجه الأخ صدقه .

أما من يعرض عن الهدية تكبراً فإنه ملام في الدنيا والآخرة ، يروى أن أحدهم عمل عند أعراب كرماء أخذوا يرسلون له أغناماً لينتفع بها فيستقذرها ويرجعها فوراً ، فجعلوا يرسلون له الحليب وخاصة اللبن وما شابه من منتجاتها فيردها فتقول له زوجته : يا رجل عيب وحرام رد الهدية وخاصة الدر !.

ولكنُه لم يأبه بها فعلم أهل القرية بذلك فتألموا منه وأخذوا منه موقفاً طابعه الإشمئزاز .

ثم أنه نقل إلى قرية أخرى لم يكن بها غنم أو بقالات فجعل يشتهي وعياله أي شيء يأكلونه فلا يجدونه لتقول له زوجته :

أرأيت الذي يتكبر على نعمة الله ويدوسها فإن الله سيحرمه منها ؟ فلا تكن متكبراً أو متعجرفاً قاسي القلب فظ الطباع تستغني عن الناس بمالك وعملك وصحتك وشبابك ! فكله يغنى ولا يبقى الا الكلمة الطيبة والفعل الحميد .

قناعة ورضا

ذهب شريط حياة ملك الحيرة بماضيه على جناح السرعة وأدراج الرياح عندما صعد أعلى القصر ليرى مناظر تسلب العقول وتبهر الأعين من جمال رائع وسحر أخاذ من طيور وأشجار وأزهار ورياحين ، ومياه تجري ، وروائح عبقة ، فأدرك أنها مخلوقة ولها خالق لا بد أن يعبد وأن يبحث عنه ليترك كل شيء ويسوح في الصحراء إلى غير رجعة ، فلم يدر أحد اين ذهب ، لقد أدرك أن كل شيء زائل سوى وجه الله ، فلم يملك سوى أن يطلّق كل متعة كفراناً بماض حبسه عنه وألهاه ولوّثه .

وقد كان السلف يتصفون بالعفة والرضا والقناعة والخلق الحميد ، فكانوا كالطيور تملؤ الدنيا غناء وفرحة وطرباً ورضا وهيهات للكثير منها أن يملأ بطنه مما يجده من قليل لقمات أو جرعات ماء سوى روعة القيم ونشوة الأخلاق ، ولنستمع لإحدى حرائرنا توصي زوجها الفقير :

أودعك الله ، واعمل على قدر جهدك ! ولا تأتينا بملامة أو مذمة أو لقمة حرام !

وأخرى توصي ابنتها بألا تغضبه أو يجد منها ريحاً خبيثاً أو تهمل ماله أو أولاده أو تضحك وهو محزون أو تحزن وهو فرح .. فهو وجهها ومرآتها وسترتها ولحافها وطريقها الى الجنة أو النار ، وهو خير لها من أهلها ومال الدنيا كله ، ولم يكونوا يعرفون الطلاق أو الخيانة بينما نجد اليوم آلافاً من حالات الطلاق ولأتفه الأسباب وأسخفها وإن كثيراً منهن دفعن أزواجهن الى النصب والإحتيال والجريمة في سبيل شراء سيارة أو بيت فخم أو متطلبات لارضاء نزواتهن ومع ذلك فإنهن لا يعين حجم التبعات والمسؤوليات بسبب ذلك ، ويكفرن بالعشير ويهملن أطفالهن ويمللن من هذه المكتسبات بل يدفعن أزواجهن الى تغييرها واستبدالها من حين لآخر كدليل للثراء والوجاهة والتطور المزعوم ، فيكون النتيجة السجن والأمراض النفسية والإنحراف وضياع الزوج والمكتسبات والأطفال والفقر المدقع .

وصحيح أن هناك نساء صالحات يربين أولادهن خير تربية ويكرمن أزواجهن ويحفظن حرمة البيت ومنهن من بقين يحتضن أطفالهن بعد موت أزواجهن ورعينهم خير رعاية يعلمنهم الصدق والتقى والرضا والقناعة ويرفضن أي نوع من التذلل أو التسول أو الإنحراف

ويشجعنهم على العلم وحسن الخلق رغم فقرهن إذ ارتضين العمل في أبسط صورة وأشرفها، يقول أحد الأطفال الأيتام عندما جاء بقميصه كتبرع منه للفقراء عندما سأله المدرس متعجباً منه إذ وجده فقيراً أيضاً :

إن لكل امرء حتى أولئك المعاقين والمعوّقين والذين يرميهم السفهاء بالحجارة ويهزؤون بهم ، كرامتهم وقلوبهم المحطمة المعذبة التي تحتاج الى الرحمة والعطفوانّي لأذكر والدي رحمه الله عندما كان يدخل البيت فأخال الدنيا كلها فرحة ، ويوم مات وتركنا فإني أرى كل شيء عتمة،وإني لأفرح بكل بسمة أتلقاها أو لمسة لرأسي من يد أحد العظماء أو الرحماء ، ولقد كانت أمي تنفجر باكية عندما تصلها صدقة فتضطر لأخذها ، وعندما كبر أخي وأخذ يعمل ورغم تدني دخله فإنا نرفض أخذ أي نوع من المساعدات لنتركها لغيرنا .

ظلموه وشوهوا صورته وسمعته في كل مكان ، وحجبوا أدلة براءته عمّن أراد خطبتها فمد لهم حبل الصفح ، وزارهم فقرأ اللعنة في وجوههم ، وأدرك أن ثلوج ومياه الدنيا كلها لا تغسل أو تطفىء نار قلوب المجرمين ،وأن أملاح الوجود كلها لا تفتح أعينهم الخائنة ، وعندما يوجه لهم سوط الحق أو صوته يتعامون عنه مطأطئين رؤوسهم خزياً لما اقترفوه ، لأن لعنة حسدهم ستبقى نكتة وصدأ قذراً في قلوبهم حتى الممات ، فهم جنود الشر وعمال الشيطان ، ولو نقعتهم بعطور الدنيا كلها أو شذاها لما أذهبت نتن نفوسهم القبيحة الخبيثة .

فذهل المجرمون عندما سمعوها تروي قصة تلك التي حملت معها ما ورثته الى بيت العجزة يوم تفرق عنها كل من تعرف ومات عنها أهلها جميعاً ، فيطمع بها عامل هناك ، فقتلها وسرق كل ما معها ، فلا زوجاً كسبت ولا حناناً لقيت ، ولا حسن خاتمة أحرزت ، فماذا نفعها مالها وما جمعت ؟ فقد كان عدوها أهلها الذين حبسوها عن الزواج وكذلك مالها الشرس الذي أفقدها الثقة بكل الناس .

ففهموا أنها أثبتت أن هناك من يقدّر وقفات الأحبة المخلصين الشرفاء الأوفياء ويقفون معهم أخيراً،ففي طلعة الشمس ما يغني عن زحل ، وأن الظفر مع الصبر وأن لكل عقدة حلال ووقت لإنفتاح ثمرة الصبر بقدر ووقت محتوم دقيق ، فلن تنضج ثمرة مهما سارعت ووضعتها على النيران الملتهبة وأوقدت تحتها كنوز الدنيا وقدراتها ووسائطها كلها ، ولا ينضجها إلا أشعه اشمس وضوء الحقيقة على مهل وببطء وتروّ .

قيل أن كبير وزراء خطب إبنة رجل عادي لإبنه ، فرفض الرجل ذلك ، ورجع كبير الوزراء خائباً ، فتعهد له راع لذلك الرجل بقضاء حاجته ، فأنذره بترك أغنامه إن لم يلبّ حاجته فخاف الرجل من ضياعها فانصاع لأمره : فقيل : راع زوج إبن كبير الوزراء .

وتصارحهم أخيراً لقد صبر معذبي وصدق ، وإن أعظم مكافأة له مني ستكون باللقاء الحتمي بإذن الله فأعظم إكليل وهدية كنز ووسام يقدم للفتاة هو زواجها ممن أحبت ، وقد قلتم مراراً وأكدتم أننا سوف لن نلتقي كأنكم أخذتم إقراراً من الله بذلك فما كان من ذلك الرجل المؤمن الشريف إلا أن يقول : حسبي الله ونعم الوكيل فإني أقصده ولن يخيب رجائي فيه أن يقف معي لأجتمع مع من أحببت على سنة الله تعالى في احياء وإشادة بيت سعيد لمعذبين شريفين طال عذابهما من سوء صنيع أصدقاء السوء الذين لا يعرفون للرحمة أو الحب أو الحنان سبيلاً ، فهنيئاً للصابرين فوزهم في الدنيا وجزيل ثوابهم في الآخوة .

من أجل المال

كان يأوي إلى مخزن أسفل قصر لرجل ثري طلب منه أن يلبس أحسن لباس عندما يدخل أو يخرج من مخزنه أمام الناس وكان يضع ملابسه في الحقيبة يبدلها في مكان العمل، فأراد جار خائن له مصادقته طمعاً فيه وهو لا يدري ما عمله إذ كان يكتمه على الناس ويعمل في حي بعيد من أحياء المدينة المترامية الأطراف ، ويضع مرة حقيبته عند الباب ويرجع ليأخذ غرضاً نسيه فيراه جاره ويسرع إلى الحقيبة ويخطفها ويأوي بها الى حلاق فإذا بصديق له هناك فوضع عنده حقيبته ليحلق وعندما التفت فجأة فإذا بجاره يبحث عن الحقيبة ملهوفاً ودخل صدفة في محل الحلاقة فانسل الرجل هارباً والصابون على وجهه ورأسه دون أن يكمل حلاقته ولكن صاحب الحقيبة انهال ضرباً على صديق الرجل ظاناً انه هو الذي سرقها وكم كانت مفاجأة الجميع عندما فتحها ليجد فيها ملابس عامل تنظيفات ومفاتيح وأوراق ثبوتية !، فقال الرجل المضروب : لبئس الصداقة التي كانت يرقبها صاحبك ولقد أفادتني هذه (العلقة) لأكتشف أن صديقي خائن وقد كفاني الله شره بعد اليوم .

وأما ذلك المفتش في الحافلة (الكنترول) الذي طلب من أحدهم أن يجلس فتاة مكانه عنوة مدعياً أنه يغار عليها فقد خبأ في نفسه طمعه وجشعه وسوء خلقه خاصة أن الطريق مزدحم بالسيارات التي تبحث عن الركاب وتلتقطهم بتلهف ولو كان هناك رجل مريض أو كبير سن لما غار عليه مثل هذا المفتش التعيس الذي يسيء الى عمله الشريف تلك الخدمة الإنسانية الجليلة وعليه التذكر أن طفل اليوم هو شاب الغد .

إذا هبت رياحك فاغتنمها !

إلى من يكفرون بالحياة ويطلقونها ويجفلون من التعامل مع الغير بحجة احترام النفس كي لا يختلط الحابل بالنابل والغث بالسمين والخيرون بالأشرار حتى حار البعض أهم شياطين أم ملائكة ؟ أهم على حق أم على باطل ؟ فلا يرون أن السباع الضارية تألف من يروضها فلا تؤذيه وكذلك الحيات والحيتان والتماسيح حتى أن البعض من الطيور تلازمها لتلتقط ما يضايقها من ديدان وطفيليات فلا تجد منها غير الإسترخاء والتلذذ والإعجاب والمسايرة فلا تأكلها أو تؤذيها حتى وإن كانت جائعة ، وكذلك الأسماك المتوحشه في أعماق البحار والمحيطات وترى أسماكاً صغيرة تنظف فمها مما فيه من عوالق فتأكلها ولا تطبق أفواهها عليها أبداً .

فيا من أنت ميت رغم أنك حياً ، ما لهذا خلق الكون ولا كانت الحياة الا أن ترضى لنفسك أن تكون مدمنة ميتة هامدة لأهلك ومن عرفك،فانهض ! وتفاعل مع الحياة ببسمة وصدق وحذر وانضباط !.

أخافوها من ذلك الشريف الذي أراد الزواج منها بأنه يريد ثروتها ، فأحجمت عنه، ليقول لها قائل : وما يمنعك أن تضمني حقك وتتزوجيه بشروط صارمة كي لا يطمع فيك ؟، وتنالين رضا الله وتجربين طعم الحياة فالتفاعل معها خير ألف مرة من الإحجام المنبوذ المكروه المقيت المنهي عنه في الشرائع كلها،وإذا هبت رياحك فاغتنمها .

فجلست معصديقة مخلصةلها لتقول لها : إنه جان ، إني أراه في كل مكان ، أليس له بيت وعليه ارتباطات يوفيها ؟ فكيف يتصرف في معيشته ؟.

فرد عليها : أمرك عجيب غريب ، عندما مكثت مدة لا ترينه ، كنت تسألين عنه دليل أنك تحبينه رغم ترددك والتردد هو سم القلوب وطريق الحيارى ودرب الفاشلين ، إن مثل هذا الرجل ليتسع قلبه ويختزن ويمتص الضربات الموجعة ولا يصدر منه سوى الحب العظيم وأحمد وأنبل الوقفات والعطاء الخير الدائب ، إنك ظلمتيه وقسيت عليه : فلا تلوميه إن انفجر وتغنى بك في كل مكان ليخفف من نيران قلبه المضطرمة لهجرك إياه ودلالك الزائد القاتل ، وهل يكفيه تلك البسمة الخفيفة الساحرة التي تجودين بها إذ تميلين بعنقك عنه عندما تصادفينه مسرعة في كل فترة طويلة تشوحين بوجهك عنه مراراً ، فكأنك؛ تريدينه

كالمعلقة لا هي متزوجة ولا هي مطلقة.

الفتاة : لا والله ، لكن بذاءة من حولي وظلم وجبروت أهلي تحول دون لقائنا ، فأنا أحبه أكثر مما يحبني ولا أريده (يجسر) عليّ فيصطدم مع أهلي الجبابرة ، ولننتظر جميعاً رحمة الله وفرجه ! .

السبع يخرج من بين الكلاب وإن كثرت

إنشدّوا إلى أسد جريح وقع بين كلاب مجتمعة أخذت تنهشه وتقوده نحو وجارها وهو يدفعها كالاً مما هو فيه من إعياء شديد ، فإذا بكلب غائب عنها يأخذ في نهشها وكان هو الأقوى من بينهما جميعاً يريد الغنيمة له وحده فانشغلت به وتركت الأسد ينسلّ حتى وصل حافة واد ليلقي بنفسه نحو مأسدته مجازفاً بحياته ليموت بين بني جنسه ومن هو على شاكلته ، فآلى الله تعالى الا تهين الكلاب من هو أشرف منها وأن يخرج الأسد منتصراً ولو بسلامته من بين أيديها وبشرفه .

ويعمل أحدهم بين أصدقاء سوء لم ير مثلهم في الخبث واللعنة فاصطنعوا له مشكلة ليوقعوا بينه وين أعز أصدقائه الذي خمروا عقله وأسروا ارادته ليمنعوه من التحدث معه ولو بكلمة واحدة يدافع بها عن نفسه ، وعبثاً استطاع بعض الشرفاء منهم الدفاع عن صديقهم البريء ، وتنشر تلك الفئة الضالة الأقاويل والأكاذيب عنه ليتألم ألماً لا مثيل له وكان حيثما توجه وجد الإشاعات المقيتة فيضطر للدفاع عن نفسه وكان لا ينفك يحاول مع صديقه ذلك أن يكلمه فيعرض عنه ، وينقل اليه صديق يعرفه ليس من أولئك الذين يعرفهم أنه حضر مجلساً كان ضعيفاً به مع أناس فخاضوا في قصته ليجحف أحدهم في حقه فينبري ذلك الصديق له قائلاً : الويل لمن لا يعرف الله ويبهت ويظلم الأبرياء ، ولا يضعون فواصل لجرائمهم ، فهم مرضى نفوس لو أرويتها بالشهد لمجته نتناً وقيئاً ولو أسقيتها الحليب الصافي رمز التسامح والصفح لأحالته علقماً وسماً ، ولو أدرت لهم خدك تودداً لأداروا لك أدبارهم ، وإن ضحكوا لك فإنهم يضحكون عليك لؤماً وخبثاً ولعنة حتىً تأمن لهم وتعطيهم سرك فيفضحوك ، ويقول لهم : أيها القوم الطغاة والله لقد سمعت أن ذلك الرجل وأهله يشبهون ذلك الرجل وأهله في الطباع والتحفظ ومع التدخل في شؤون الغير ، وإن أكثر شيء أحنق صاحبه ذلك عليه هوتوسيطه أولئك اللئام في أمرهما فهو أعرف بهم منه ، وإنه سليتقي به أخيراً رغماً عن أنوفهم فلا يأتي الصفاء الا بعد القتام والكدرة والنكد ليزداد الحرص والتمسك والإخلاص للصداقة والحب والوفاء .

أما الرجل الذي كان يذوق الموت ألواناً ويصحو حزين القلب مجروح الفؤاد فقال : إني أعمل بطبعي وخلقي فلا يهم الجبل ما استدبرته من ريح أو عوت عليه الكلاب أو نبحت ،

وإن اللئيم لو أسكنته قلبك لسعى بكل جهده لتدميره وتحطيمه فالشياطين وهم منهم أولاد علأت يدافعون عن الظالمين ، فكم من صديق يغدر صديقه فيجازيه الله بمثل ما عمل ويسجل عليه خيانته وغدره والأدهى والأمر من ذلك أولئك الذين ينقلون الإشاعات الكاذبة كالببغاوات عن أصدقائهم أو أقربائهم يسمع أحدهم الإشاعة فينقلها عن زوجته أو زوجة صديقه وهو لا يعرف ذلك المتهم وقد يكون بريئاً ، تناشد إحداهن في التوسط لخدمة صديقها ليذمه زوجها ذماً وهو لا يعرفه ولا يراه استجابة لأعدائه المجحفين ، فالويل لخفافيش الظلام صراصير الليل من الله من سوء ما يفعلوه وهو سيجازيهم وستبقى دماؤهم الآسنة التي لا يهدأ أصحابها كبراغيث المزابل إلا بأذى واضرار الغير ظلماً رمزاً للعنة والخبث والإشمئزاز .

للنجدات أهلها

إتسم العربي بحبه لوساطة الخير ونجدة العاني والمنكوب واعتبر ذلك مروءة ، واستعابت العرب النكوص عن مواقع الإقدام أو الإحجام عن تقديم المساعدة والعون للمضطرين والمنكوبين،وفي هذه الأيام وإذ تعقدت أمور الحياة وكثرت مشاكلها فإن البعض يتجاهل الحوادث التي يمر عنها فلا يقدم أي نوع من المساعدة للمصابين كي لا يتعرض للمسؤولية أو يجهد نفسه أو يضيع وقته ناسياً أنه قد يتعرض لمثل هذا الموقف في أحد الأيام القادمة .

يمر أحدهم على سيارة حصل لركابها حادث أليم فينجدهم بينما كان ينحي باللائمة على أولئك الذين مروا على حادث مماثل صباحاً فتركوهم يتخبطون في دمائهم حتى ماتوا جميعاً بين الألم والنزف والبرد القارس ، وتعرض عليه مكافأة من ذويهم فيرفض ذلك بشدة ويقول : لقد أقسمت الا أترك عانياً أو مصاباً أراه الا وساعدته مهما حصل لي وقد حصل أن اتهمت بسرقة أموال لأحد المصابين واستدعيت وتعرضت للمسائلة القانونية، وأخرى مات معي أحد الركاب الذين أسعفت ورغم وجود شهود معي الا أنني (تجرجرت) الى المخافر والمحاكم حتى تثبت براءتي ، ولست بنادم أو مانّ على الله تعالى الذي يسّرني لفعل الخير أو على الناس الذين هم سبب ومادة أجري .

ولو أن كل امرء أحجم عن فعل الخيرات لفسدت الدنيا وانقطع الخير والأجر وعلى الإنسان أن يمتص الإتهامات والإنتقادات مادام واثقاً من نفسه ونيته تتجه نحو الأجر من الله تعالى .

يسير أحدهم جانب الطريق فيدّعي والد فتاة أنه يتعرض لإبنته فيقسم بالله أنه ترك الرصيف لكونه زلق وقد وقع بسببه مراراً ولكن جانب الطريق أكثر خشونة فيدحض والدها ذلك،يريد تكذيبه والإنتقام منه وتشويه سمعته فمشى يري الناس أن بالإستطاعة السير عليه دونما حاجة الى وجود فواصل أو موانع خشنة تمنع الإنزلاق خاصة أن لم يسر المرء ببطء وتثاقل ، وما أن سار عليه عدة خطوات حتى كان رأسه على الأرض وقد ماه في الهواء والناس يضحكون ويشمتون به بينما اندفع ذلك الذي أسره حب ابنته فرفعه وجامله واضعاً الثقة في نفسه ، فقال له : أي بني : من سل سيف البغي

قتل به!، أي بني لقد تحكم في آسادهن الكلاب!، لقد كنت كالسكران ، لا أعي ما أقول لك وذلك من كثرة ما خزن المرجفون ضدك في قلبي حتى لم أعد استمع لتلك القلة الشريفة التي تقف معك فكان سيف البغي أطول!، ولكن ما لبث أن ارتد في نحور الحاسدين لشرف وقفتك ونجدتك فابشر!، فإن ابنتى هي لك .

الشريك الصالح

قال له : أما سمعت ذلك الشريك الذي اختار البيضة الأكبر ليسلط الله النمل فينقل القمح من المخازن الى الخارج وكان من قبل على العكس من ذلك؟، فاتق الله في تجارتك! وإياك أن تحتكر بضاعة ! أو تغش أي مخلوق كان ! ولا تطمع أو تقتل نفسك وأرحها ساعة وساعة! وتزود بالعلم والمعرفة وكن كالرجل الصالح الذي بعث له شريكه بمبلغ كبير من المال ربحه إذ حبس بضاعته حتى تضاعف ثمنها ، فغضب شريكه الصالح وأمره بالا يعود لمثل ذلك العمل الحرام وإنه سيخرج كل ذلك المربح من ذمتهما ويتصدق به!، فأرسل اليه :

فهمت الأولى ، وما شأن الثانية ؟ فإني إن لهوت بالعلم والمعرفة أضعت الوقت والتجارة .

فرد عليه الرجل الصالح : بل بالعكس فإن الله سيبارك لك ، فاجعل الكتاب رفقتك المؤنسة والصالحة ساعة مللك من عراك التجارة ، أما سمعت من قال : وخير جليس في الزمان كتاب ؟ ففيه الأدب والمعرفة وعرض التجارب وحل معاضل الحياة ، وعقدها ، فليست المادة كل شيء في الحياة فعليك بالعلم ! واغتنم بياض النهار قبل العشية ! والتجارة بحاجة إلى دراية وحسن مجاملة وصدق وأمانة ومن خلال ذلك يأتي الله بالرزق .

أورث تاجر ابنه مالاً كثيراً وكان قد حرمه من معاركة الناس ومعرفة طباعهم فكانْ كالآلة العجماء وما أن استلم الإبن المتجر حتى أخذ الناس ينفرون منه وتقدم لخطبة فتاة فنصحه الناس أن يلبس خير اللباس وألا يتكلم حتى بكلمة واحدة كي لا ينفضح أمره إذ لا يعرف آداب المجاملة أبداً ، وعندما رأته العروس أعجبت بمنظره وأخذت تنتظر على أحر من الجمر أن يتكلم لتسعد بصوته وترى مدى ذكائه وتجربته في الحياة ، فقال أحد الجالسين :

أستأذنكم فإني ذاهب الى مكان كذا لمواساتهم في فقيدهم الغالي وهذا اليوم هو الأخير من أيام العزاء .

فلم يتمالك الشاب نفسه فقال : كل الناس يموتون ، ويجب ألا تغضب من ذلك ، فأنا بالأمس سرق مني كيس إقط (لبن جاف) ولم أغضب .

فجفلت الفتاة وخرجت فوراً وقالت : والله لن أُجتمع معه أبداً ، إنه شجرة ميتة الإحساس ، ولن أغر بورقها ومنظرها ، وإن لحظة من الحب والحنان لتعدل الوجود كله ، إنه عبد للدينار والدرهم ، ولن يسعدني ففاقد الشيء لا يعطيه ، ولو هززت الشجرة العقيمة أو الجافة ألف مرة لما أعطتك ثمرة أو نسمة ، أو بسمة أو نفحة طيب أو شذى زهرة أو وردة ولما حطّ عليها طير أو زقزق فوقها عصفور أو غازلتها فراشة أو نحلة ، لا بل ستعود يدك جافة متعبة يعلوها الغبار والفشل واليأس .

إرحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء !

كان ذلك المسكين يبكي بكاء مراً قبيل طلوع الشمس ويقف على شباك البيت ينتظر أمه وهي تؤشر إليه بكلتا يديها تودعه تاركة إياه حتى العصر وحيداً بين جدران أربع ، إنها تعمل كما تقول لتقتل ساعات الملل والفراغ وتحصل على مال تسدد به أقساط التلفاز والثلاجة و...و... ولتلبس ملابس راقية تضاهي بها الجيران والأهل والأصدقاء والمعارف .

لبئس ما تصنعيه يا أختاه ، وليتك قلت إني أعمل لأخدم الأمة والمجتمع ، ونحن إذ نشجع العمل للمرأة كشريك فاعل في بناء المجتمع ولكنا نراه للضرورة القصوى خاصة إن كان دخل البيت متدنّ أو كان هناك فراغاً قاتلاً عند المرأة . أما إن لم يكن هناك ضرورة فإن المرأة مسؤولة أمام الله والناس عن أطفالها وزوجها وواجباتها ، فكيف سيكون ذلك الطفل المحروم من كل لحظات الحنان الدافىء والذي هو أهم بكثير من الغذاء والماء والهواء ويبقى قطرات متحركة في الدم والقلب حتى الممات ؟ وكيف سيكون الزوج أيضاً إذا حرم من ملاطفة زوجته المرهقة المتعبة عقب يوم حافل بالتعب والمشقة وبدون أي ثمار مفيدة نافعة ؟.

فالضرورة تعذر صاحبها وقد يزج المرء بنفسه وكل ما يملك من مال وأهل ومتاع من أجل الواجب والكرامة والجهاد إن فرض عليه ذلك ، أما من أهمل واجبه نحو بيته دونما مبرر فهو تعيس أحمق متخاذل عن ضرورة الحياة نحو الجانب العاطفي الإيجابي فهو معركة نفسية لها أوقاتها وفرصها لا تقل عن معركة السلاح ، فمادام هناك مجال لإسعاد أطفالنا وأهلنا وأحبتنا فعلينا استغلال كل لحظة من ذلك ولا نترك دموعهم تهدر بلا مبرر فقد تكون بذوراً لسعادتنا مستقبلاً أو مياهاً تسقي تلك البذور نستبقيها لكبرنا وشيخوختنا فنكون فعلاً إيجابيين رحماء متحابين قدمنا العطف وكل ما يفعله المحبوب محبوب .

إلى الأحياء الموتى

لو نظرنا إلى الكون لوجدناه حلقات متماسكة وسلاسل متماثلة في الكنه مختلفة في الشكل توحي بعظمة صانعها ، ولو نظرنا بنظرة المتمعن لاستمتعنا كثيراً وذهلنا بحركة الكون العجيبة الساحرة وفي كل موضع فيه ، فإنك تجد تكاملاً وتعاوناً وتماثلاً وتناقضاً لحكم لا يعلم أغلبها الا خالقها ، ففي الجسم عجائب محيرة فكريات الدم مثلاً منها الحمراء والبيضاء وفيها العاملات والمكنّسات للخلايا الميتة،وهناك من يبني ويحرس ويدافع عنها.ولو أردنا أن نجسّد عمل الوحدات المتعددة لجسم مخلوق فقط لاحتجنا إلى مليارات من الدولارات لإشادة مصانع ووحدات تنجز الدم وتنقيه وكذلك بقية عمليات الجسم الذي قد يكون طعامه لقمات أو حبة تمر واحدة وشربة ماء ونسمة هواء ورعاية من الله وبجنوده الذين لا يعلمهم الا هو،تملؤ كل شبر في السماء والأرض وما بينهما .

ولو نظرنا إلى مخلوقات الله لوجدنا العجب العجاب في مسارها وتعاملها وحركتها وكلها توحي بوجوب العمل والتعاون وإنك لو وضعت مليارات الدولارات في وسط الصحراء دونما تحريك من يد بشرية لما عملت لك مفحص قطاة أو أحضرت لك رغيفاً أو شربة ماء أو لمسة عطف ، إنما هي وسيلة لإلتقاء قلوب وأيدي وضمائر بني البشر للتعاون والإستثمار والإبتكار والإبداع واعمار الأرض وربط كل ذلك بسلم التقوى ومراقبة الله تعالى ، ومحاسبة النفس في كل وقفة واستراحة ومحطة للإنتقال من موضع الى موضع ومن حال الى حال في رحلة سفرنا الحياتية،قصيرة كانت أم طويلة متجاوزين فواصل الحياة،بعين المتسامح الجاد النشط ، والا فإنا نكون أمواتاً ونحن أحياء .

قال الأجداد : ما زين إلا بعد جدري،إذ أن الإنسان يقدر طعم الحياة وقبح المنظر المشوه المتروك أثره فيأخذ باخفائه وتزيين جسده وحمد الله على عافيته ليشكره بالتقوى والإحسان الى الغير ، ولا صحة الا بعد المرض اذ يحرص الإنسان على تطبيب نفسه والإبتعاد بجسده عن كل مسببات المرض .

و الحياة هي الشرف والكرامة والسيرة الحميدة ، كان أحدهم ثرياً مفوّهاً بخيلاً سيء الخلق وعندما ترك مكان عمله وودّعه أصدقاؤه وعملوا له حفلة وداع كعادتهم ، فلامهم أحدهم إذ كانت حفلة صاحبهم المحترم أقل بهجة من ذلك فقال أكبرهم سنّاً:أمّا ذلك الرجل

المحترم فإنه لا يأبه بالقشور الزائفة وله ما له من حب وعطف عظيم سيبقى في قلوبنا،أمّا ذلك السيء،فأكبر فرحة عبّرنا عنها لفراقه تلك الحفلة،ألم يقل الشاعر ؟:

ومن نكد الدنيا على المرء أن يرى عدواً ما من صداقته بد.

الحركة هي المسار الأساس لديمومة الحياة

لم يخلق الله تعالى الكون عبثاً ، بل لعبادته واعمار الأرض ، وجعل الحركة وسيلة للحياة والبركة والفرحة والسعادة والتجديد ولم يرضى للمرء الركون الى الكسل واليأس والفشل ، وجعلت عقيدتنا من المحاولة تلو المحاولة والفأل الحسن والأمل بلسماً نافعاً ووسيلة جيدة لحل كثير من معضلات الحياة والتخفيف من ويلاتها وآلامها .

وإن سنّة الحياة تقتضي منا ضرورة التفاعل مع عناصرها برباطة جأش وشجاعة ونشاط ودراية ، والإنسان يتبوّأ أعلى درجات الفطنة والعقل من بين المخلوقات كلها منوط به أن يكون قدوة ومحوراً حيّاً للعمل الدائب والنشاط المتكرر لمجابهة صعوبات الحياة والتفاعل معها من أجل البقاء بشكل سليم لائق لأن الهروب من مواجهة معضلات الحياة لهو جبن وخوار وقتل للإرادة وإماتة لسنن الحياة .

وقد جعل الله تعالى في المرء امكانية البقاء وسبر غور الحياة منذ صغره وحتى مماته متدرجاً في القدرة حسب طاقته وامكاناته وإن جميع المخلوقات لتأخذ مكانها في موقعها وبالغريزة الأبدية ، فترى النباتات والأشجار والحيوانات بفطرتها تعشق الحياة وتتفاعل معها وتصارع الظروف من أجل البقاء وابقاء النوع ، وحتى الجمادات فإنها تأبى أن تموت بإرادتها فهي تصارع الظرف تارة وتتعايش معها تارة أخرى ، انظر الى الصخور في أعالي الشواهق أو في بطون الأرض فهي تبقى موجودة حتى تسوقها الأقدار الى التحطم أو التحات الى تراب أو رمال وكذا النسمات والرياح والهواء والأتربة وذرات السراب الكل في حركة رتيبة تحب البقاء وتنادي به بل إن الزلازل والنيران والبراكين في أعماق الأرض تأبى الموت فتتصارع مع ما حولها حتى تخرج مزمجرة وترى النجوم والشمس والقمر في حركة دائبة دائمة من فوقنا وحري بنا أن نتأملها ونفكر في ديمومة حركتها .

فكيف بالمرء الذي يهوى إماتة القلب ليقبع في أحزان وارتكاسات ولا يتفاعل مع الحياة ليذوق حلوها ومرها ، وهذا معنى الحياة إلا لكان ميتاً وهو حي ، ولبئست تلك الحياة على هذا النحو وبهذا المسار .

جعل سبحانه وتعالى لكل شيء في الحياة موقعه وله في ذلك شأن وحكمة ، وجعل الأرزاق لمن أحب وكره،والعقل للمؤمن والكافر ، والتقوى والطاعة لمن أحب ، ولا أندم ممن أعرض عن ذكره وهو يعرفه . وإن تمام التقوى هو الإحسان وهل آمن وأسعد وأشرف ممن كان الله معه!تقول عجوز على فطرتها لطفل يحمل بطيخة اشتراها شتاء وهي من النتاج الذي يؤخذ من بيوت اللدائن : يا بني انها كلها ماء وهل جسمك بحاجة إلى المزيد منه الآن ولقد جعلها الله محبّبة في الصيف إذ يذهب الماء مع الجهد والعرق ؟، وجعل سبحانه وتعالى لكل فصل ما يناسب الناس من غذاء ومادة تصلح لأجسامهم ، فللصيف فواكهه وخضاره ولغيره من الفصول غيرها من الثمار،فمثلاً في الشتاء إذ تكثر الرشوحات وأمراض الصدر وغيرها جعل لها أنواع الحمضيات التي تعالج هذه الأمراض وتقي منها .

وجعل سبحانه وتعالى الثمار من جنس العمل ؛ يخون أحدهم بني قومه ويأخذ في تعذيبهم لصالح عدوه فيقول له أحدهم : الويل لك من الله ، أتخون دمك ولحمك وتفرح لدريهمات زائلة وتخفي وجهك بقناع أسود كقلبك الآثم فإن الله يعرفك وسيلعنك ويقتلك إن لم يقتلك عباده ، وعندما هزم العدو وانسحب خيّره في أن يأخذ المال ويبقى في دياره أو يذهب معهم ليسكن وأمثاله في حي منعزل عنهم يسمى حي الجواسيس : فيقول لهم : أهذا جزاء من أخلص لكم؟ فيرد عليه قائدهم : لقد كافأناك بما تستحق ، والذي ليس فيه خير لوطنه أو من أحب فليس فيه خير لعدوه أو نفسه ، ولا يؤمن جانبه ، وإنا درجنا على قتل أمثالك عندما ننهي حاجاتنا منه ولكن يجب تعليم بني جنسنا بأمثالك كي يكونوا عبرة لهم منبوذين كالكلاب الجرباء ، فكم من خائن مثلك خان أقرب الناس كانوا يفرشون لهم بينهم يحسبونه إبناً لهم لينقض على أعراضهم وأموالهم وأنفسهم!، لقد قل حياؤك ولا تستحق

الحياة .

فقال : مثلي كالتي عبدت الدينار والدرهم وتنكرت لمحبوبها وأطاعت عدوها الذين أبعدوها عنه ، فتزوجت فيهم فساموها أشد العذاب وتنكروا لها وكانوا يضربونها وزوجها الذي لم يعد يحميها ويحمي نفسه فأذلوها وعندما كبرا ورزقهما الله بأولاد كانوا غير أسوياء فأخذوا يسومون الجميع منهم سوء العذاب فالزوج رضي بالذل والمرأة خانت حبيبها والأهل جاروا عليها وعلى صهرهم وأولادهم ، وأخيراً فإن المرء يأكل من ثمار ما زرع وينال الجزاء من جنس العمل ، فسبحان الله أحكم الحاكمين .

كررها قائلاً : لا تغضب ! عندما طلب أحدهم من رسول الله (صلى الله عليه وسلم) أن ينصحه ، ويوجز أحدهم نصيحته لأحدهم أن يتذكر الله القوي عندما يتمالكه شعور بالقوة أمام ضعف الناس الآخرين فيعفو ويكبح جماح نزواته في الإنتقام أو الإساءة للغير ، فأول شرف العقل أنه لا يشترى بالمال ، والفضل يكون بالعقل والأدب لا بالأصل والحسب والنسب وحده، وأنفع الأشياء أن يعرف الرجل قدر منزلته ومبلغ عقله ثم يعمل بحسبه .

إن في تهافت بني البشر اليوم في الحصول على المادة بأية طريقة لدليل على انهيار حسها المعنوي وقيمها وتلويثها فكأنهم يشترون بقليل زائل ولذة عابرة خناجر يقتلون أنفسهم وذرياتهم وبني البشر ، والمخلوقات جملة وتفصيلاً بها ، فهذه الحيوانات والأشجار تنقرض سراعاً وهذه الطيور والأسماك تموت بالملايين على شواطىء الدول المتقدمة كبريطانيا والتي حدى بها الأمر إلى إنفاق المليارات، لتجهيز قبور للمستقبل في الفضاء يكلف أحدها آلاف الجنيهات ، خوفاً وقلقاً ، وأرقاً وجشعاً حتى في نهاية الحياة ، فأين بريطانيا العظمى التي كانت تملك أكثر من ثلث مساحة الكرة الأرضية بشعوبها المسكينه المضطهدة ؟.

فسبحان الحي القيوم وسع علمه وملكه وحكمته كل شيء

يرفع أحدهم يديه ملوحاً بقوته متبجحاً بحيازته أحزمة رفع الأثقال وصرعه الجبابرة ليسقط عن جدار قصير لو وقعت عنه البيضة لما انكسرت فتكسّرت عظامه ويترك قدماه ليقعد ملوماً محسوراً ينتظر بعين الذل قرش المتصدقين ليقول له أحدهم : يا أخي ، ولا شماتة ، تأكد أن تقوى الله والتواضع والرحمة والحنان هي رأسمال العاقل ،أمّا تاجه فهو العقل الراجح ومجاملة الناس وتخفيف مآسيهم وويلاتهم فهو فخر الدنيا وسعادة الآخرة ، وسيكون الذي يقضي حوائج الناس على منابر من نور يوم لا ينفع مال ولا بنون الا من أتى الله بقلب سليم .

تتزوج أجنبية من عربي ليتعجب كل من عرفها بأنها أصبحت كواحدة من أهل القرية تشاركهم مناسباتهم وأفراحهم وأتراحهم تربي أولادها على القيم والخلق الحميد وتشارك زوجها السراء والضراء ، وإنه ليروي قصة عجيبة : رجعت ذات يوم من مزرعة تقطر يدها

دماً ويزين وجهها الساحر سيل من العرق فأردت التدلل عليها واصطنعت موقفاً أغضبتها فيه وتركت البيت ساعات وعندما رجعت اليها استقبلتني عند الباب لتقبّل يدي وتعتذر لي، فاستغرب أخوها وسألها عن الأمر لتقول له : إن زوجي ليعرف مدى ثروة أهلي الطائلة من مال ومتاجر في بلدي وإني يوم اخترته فإني صدقت مع الله ومعه في شركة الحياة فهو جزء مني وأنا جزء منه وهو ستري ووالد أطفالي وإن قلبينا يشعان رحمة وحباً وحناناً عظيماً وكذلك الحياة عند العقلاء الذين يدركون أن الأحشاء تتصارع في أعماق البطن الواحد ثم تصفو .

مسابقات غريبة

تجري مراهنات كثيرة بين جماعات أو أفراد ومسابقات واشتراطات لا هدفاً أو مسعى نبيلاً لها وينتج الكثير من المآسي ،والمشاكل عنها ، بدءاً من أنواع اللعب والقمار ومروراً بالألعاب المتعددة ونهاية بالأكل وسأتكلم عن الأخيرة .

فهناك من يتسابق على أكل أكبر كمية من الأكل وهذا تسابق على النهم والضرر والجشع والشره مما تأباه طبائعنا العربية والإسلامية فليس الفخر أن (يترع) المرء بملىء فيه كي يتقزز الحضور بصوته المقرف المزعج ولقد وصف آباؤنا بالعفة والزهد وقلة الأكل وايثار الغير على النفس.

وكثيراً ما ينجم عن ذلك السباق القذر مشاكل كتلك التي تحصل من المراهنات الأخرى وتعود أيضاً الى الأمراض والتخمة أحياناً سواء بالجلطة أو انفجار المعدة أو الأمعاء أو الزائدة الدودية أو التسمم أو ارتباك المعدة والأمعاء ، وتلبكها مما يلتهمه هؤلاء من كميات كبيرة من الطعام خاصة ما كان متعدداً منها مع الراحة أو الكنافة أو غيرها من المواد الدسمة الثقيلة على المعدة وكالقطائف وغيرها .

قيل أن أحدهم كان يأكل كمية كبيرة من اللحوم ويذهب خلسة ليتبعها بعدّة أوراق من الفجل التي تهضمها بسرعة وكان أحد أصحابه الأخابث على علم بذلك وما أن جرت المسابقة حتى كان صديقه ذلك قد انسل وخلع الحوض الذي به تلك المادة وأخفاها فذهب صديقه المراهن فلم يجد شيئاً منها فأخذ يتلوّى بطناً على ظهر ولم تفد به الإسعافات المتأخرة فقضى نحبه على تلك الصورة المحزنة المخزية ، فلنرجع الى مسار أجدادنا في العفة والنزاهة والقناعة!، أنظر إلى تلك العجوز تمنع (حفيدها) أن يذوق شيئاً من الباعة محذرة إياه بأن ذلك ظلماً وسيأكل فاعله يوم القيامة من شجرة الزقوم ، حتى ولو سمح له صاحبها في الدنيا فقد يكون ذلك خجلاً من الناس وماذا سيبقى له من بضاعة إن أكل كل واحد من المارة أو أخذ شيئاً ؟ فهو ليس في بستان فيه (سبيل) يبارك الله ويعوّض ما أخذه الطير أو أكله الناس بأدب واستسماح وزهد دونما سرقة أو نهب أو أخذ للبيت ، ويقول أحد الكتاب : كنت كتبت مقالاً عن شناعة الأكل لمن يمشي في قارعة الطريق ويستحلفني ويحرجني أحد الباعة يوماً أن أذوق بضاعته كي اشتري فأضطر إلى ذلك لأشعر

بالحرج الشديد وكأنّي سرقت الدنيا كلها أو أجرمت لشعوري بأني خالفت ما كنت كتبته فالكاتب مدعوّ وكذلك كل من كان لديه صدق وشرف وانتماء لأمته أن يصدق ما يقول وأن يكون قدوة في كل حركة وسكنة فهم لسان الأمة ووجهها الباسم الوضّاء ، فكل المادة تفنى ولا يبقى الا الله والعمل الصالح وما انتجه عقول الأمة وسواعدها وخلفه أبناؤها من تراث عريق أصيل ولنا في تسابق سلفنا خير قدوة،فرحم الله أبا بكر وعمر اللذان كانا يتسابقان سرا على خدمة تلك العجوز العمياء في جنح الظلام ابتغاء الأجر لا يراهما أحد إلا الله .

عودة إلى عقيدتنا وتراثنا

تأخذ أحد الملحدين العرب الرعدة والهيبة عندما سمع نداء الحق يعلن وقت الصلاة في موسكو فيرجع الى الله ويتوب توبة نصوحاً ويؤنّب نفسه إذ كان في أشرف وأطهر أماكن الأرض في بلاد العروبة والإسلام المكان الأنسب لنمو هذه العقيدة السمحة إذ هو يجحد نور الحقيقة فعاد تائباً لله .

وفي نفس الوقت أكّد الباحث الأمريكي أندرو جديلي أن ظاهرة الدين بدأت تعود إلى روسيا بشكل أقوى وأن ثلث الملحدين بدؤوا يعودون إلى الإيمان بالله ويشتد ذلك بين الرجال تحت سن الخامسة والعشرين وأن اتجاهاً قوياً في موسكو يسير نحو الرجوع إلى الله وأن نسبة عالية من هؤلاء يعتقدون بوجود معجزات وجنّة ونار وإله .

فعلينا نحن العرب والمسلمين واجب الحفاظ على عقيدتنا وتراثنا المجيد ، وما حوتا من قيم وفضائل وأخلاق ومبادىء أنارت الدرب طويلاً للإنسانية كلها ، وقد قامت عقيدتنا على أكتاف أناس حفاة عراة جاؤوا من أعماق بادية جزيرة العرب وقراها لتشعر وتعلم الإنسانية أن الطعام والمال والجاه والقوة هي الأضعف فهي من مادة الأرض أبطأت ثمارها فهي من مادة السماء ، وهي الألذ والأشهى والأبقى والأسمى

وعلينا كعرب ومسلمين أن نشعر وندرك ألاّ كرامة لنا بدون لباسنا الذي لبسه أجدادنا فسادوا به البشرية وهو لباس العقيدة السمحة كلهاً ولا خيار لنا سوى ذلك ومثلنا كمثل رجلين سارا في مكان موغل في الصحراء يحملان طعاماً نقياً ما لبثت الأتربة والرمال أن غطته إذ لم يحرصا على حفظه وصونه ، أما أحدهما فقال سأبحث عن طعام جديد وترك صاحبه وأخذ يأكل مما يجد خبط عشواء حتى قتلته إحدى الأعشاب فالتهمته السباع التي مات عدد منها من لحمه المسمم الخبيث ، أما الآخر فبقي صابراً محتسباً أجره على الله يأكل باقتصاد وحكمة ما يسد رمقه بينما كان يزيل الأتربة والرمال والأشواك التي علقت بالطعام حتى أوصله زاده إلى قرية آمنة في الطريق ليسعد ويعيش حياة ما حلم بها من قبل وكسب أجري الدنيا والآخرة ، وليعلم غيره أن السعادة واللذة تكونان بحمل المبادىء الكريمة وأن العظماء يسعدون بلذة نجاح آرائهم وقيمهم وقد يكونوا فارغي الجيوب والبطون ولكن للكلمة مكاناً مرموقاً في وجدانهم كالأدباء والشعراء والفلاسفة والقادة النجباء

فالحكمة والموعظة والمثل العليا عي أغلى كنوز الأرض وتسير في دمائهم ، بينما تجد أصحاب المليارات والملايين والضياع إلاّ ما ندر منهم لا يولون بالاً اليها،فقبلتهم هي ما برق ولمع من متعة زائلة وكم تكبر أحد الأدباء الأثرياء الذي كان ينفق سرّاً أغلب ماله ثمناً لما يشتريه من كتب ويتصرف بما بقي في وجوه الخير وسد حاجاته باقتصاد واعتدال ليؤكد حقيقة أن الأديب السوي يكون متواضعاً إيجابياً كالشجرة العملاقة الطيبة الريح كلما حركتها العواصف غطت الأرض بأكرم وأطيب الثمار .

يا وطن

يا وطني العزيز اليك كل شيء ولا أوفيك حقك فأنت الفراش والغطاء ورمز الحب والحنان الدائم ، وبك أفاخر الدنيا كلها باسمك وترابك وهوائك وخيرك وشعبك العظيم ، وكما احتضنتني فلن أخنك أو أتقاعس في خدمتك والوفاء لك مهما ضاقت إمكاناتك أو شحّت فكفاني أني منك وأنت لي ، فأنت الحيّ الخالد ، وهل أغلى من المحبوب شيء ؟ فقد قيل أن رجلاً بعد أن أنهى بيته الفخم لتفرح به محبوبته وكان قد كتب على حجر منه اسمها ، فلوت عنقها عنه فتألم كثيراً وكاد الإحباط يقتله ، فمرّ من تلك الديار صديق له ثري وأخذ يسأل عنه في تلك االمدينة الكبيرة فلم يعرفه أحد ، فقال لهم : سمعت أنه بنى بيتاً فخماً كتب اسم محبوبته عليه،ففطنَ الناس لذلك لعلمهم بقصته فدلوه عليه وكان قد أوشك على اليأس وهمّ بالرجوع ، فذهب الى أهلها وتعهّد بدفع ما يرغبون فيه ويطلبونه من مال فكانت له محبوبته التي نفعه الله باسمها بعد ذلك العذاب الطويل .

وكذلك الوطن هو الضرع الحنون الدافىء يزجي في عروقنا دمه الطاهر ولكنه قد يجدب أحياناً فلا يحق لنا ساعتها أن نتنكر له، وعلينا أن نعمل بجد وصبر لا أن نتبرأ منه بل ننتظر حتى يجدد خيراً وبركة ودرّاً جديداً ، يقول حكيم : أي بني تريث الأمور وانتظر حصاد ثمارها بعد التعب والكد وانظر السلالم والدرجات وصعود الأشجار الصعبة الباسقة كالنخيل فهي تحتاج إلى صبر ومحاولة وتدريب كي نصعدها خطوة خطوة بتأنٍ وثبات ، وكان بامكان خالقنا تهيئة أجسامنا وقدراتنا أن نصعدها أو نهبط إليها مرّة واحدة كالطير دونما أذىً ، ولكن إرادة الله قضت بتحصيل الإنسان لرزقه ونجاحه وعبادته بالكدّ والصبر والسعي والكفاح وما يؤخذ بصعوبة يفقد بصعوبة وما أخذ بالسهولة قد يفقد بسهولة أيضاً وحب الوطن قدر كالمحبوبة لن يمحوه شيء من الذاكرة .

الحسد

يقول ابن المقفع : إن الحاسد منغّص العيش دائم السخط ، لا بما قسم الله له يقنع ولا على ما يقتسم له يغلب والمحسود يتقلّب في فضل الله لا يقدر الناس لها على قطع وانتقاص.

فالحسود جبان خائن الأمانة ضعيف الإرادة ، لا يؤتمن جانبه ولو ذرف دموع التماسيح يخدع ناظره ولا يفتؤ يكيد له حتى يقضم رجله أو يبتلع طفله أو من يعزّ عليه .

واتسمت أمتنا نبل الخلق وحب الخير للغير ، وبالتعامل يعرف أي مجتمع ومهما دارى وجامل ، لكن كل قوم فيهم مزيلة وحساد كأعداء لهم لمافي نفوسهم من نتن وخبث الكيد والحسد ، ناسين القول والحكمة القائلة : لو بلغ الرزق فاه لولاه قفاه .

وإن الرزق يركض خلف صاحبه ويسوقه كما تسوق الرياح القوية السحاب المثقل بالمياه فلا بد أن تصل بما حملت الى حيث أمرها خالقها تعالى ومهما اعترضتها الصخور والجبال وكثبان الرمال .

والحسد يشمل كل تمنٍ لزوال نعمة كالجاه والمال والمنصب والإحترام ، فما بالك بمن يهدي الألفاظ القذرة للشرفاء وبدل أن يلقي عليهم تحية الإسلام والمحبة وخاصة في مطلع النهار حيث يقصد صاحبه وجه الله ليبحث عن رزقه ليواجهه ذلك الصديق المشؤوم بالألفاظ المشينة المخجلة بذريعة المزاح ، فأي مزاح هذا إذ تقول له : يلعن كذا وكذا ، أو يا ابن كيت وكيت أو يا أخو فلانة وفلانة أو... أختك أو ... أمك ؟

ألم يخبر رسول الله (عليه الصلاة والسلام) بان من علامات الساعة أن يحيي بعضهم البعض باللعنة ذاماً ذلك ومنكراً له؟ ثم ألم يعتبر أحد كبار الفلاسفة المزاح الشائن بأنه وجه دفين للذم والإحتقار والإنتقام والإساءة ؟

يتعذّر أحدالولاة برد الخليفة الأموي على أحدهم : جوّع كلبك يتبعك،فيقول له الرجل: أخشى أن لوّح له أحد برغيف أن يتبعه ، فيردّ عليه صديق ناصح : والله يا أخا العرب ما عاقبت العرب العرب بني جلدتها بالجوع والعري والفضيحة ، بل جعلوا الكرم والإخاء والتسامح جسراً للتواصل وإزالة الأحقاد والضغائن ، وما قولك ذلك الا حسداً منك.

وتذكّر أن ما ينثر من فم الخابية تحتضنه الصهوة وأن ماينثره الحصادون تلتقطه(الصائغة) والمحرومون والجوعى والحيوان والطير ومخلوقات الله تعالى فيثيبه الله بركة الدنيا وثواب الآخرة .

إحترام النعمة

رمى ما في يده من طعام شهي وداسه بقدمه متبجحاً بسعة ذات يده ، وأتبعها لفافة تبغ كاملة تقريباً ثم ترعات مزعجة أرسلها ، فقالوا له : أهكذا تشكر النعم ؟ وإن من أعظم سبل الرزق هو الحفاظ على نعمة الله وصونها واخراج الحقوق المترتبة عليها منها كالزكاة والصدقة ومساعدة الغير .

ونعم الله تعالى لا تحصى ، وإن من أقلّها هو المال،فالصحة والأمن والقناعة والعلم أشرف وأدوم من المال ، وفي خلق الله آيات وعبر وفي التفكير فيها والتعامل معها خير دليل على ذلك .

يحكى أن رجلاً خرج من بغداد ومعه أربعمائة درهم لا يملك غيرها فوجد في طريقه عدداً من فراخ لطائر (الزرياب) أبي زريق ذلك الطائر الساحر الذي لقّب به الموسيقي العربي علي بن نافع ثم المغنّية الشهيرة الواثقية وكذلك عدة قرى وعائلات في بلادنا ، فاشتراها بها ثم رجع من حيث أتى ، وعندما وصل بغداد ماتت عدا واحدة فكاد يموت حزناً عليها ، وأخذ يبتهل طيلة ليله قائلاً : يا غيّاث المستغيثين أغثني، فلما أصبح الصباح فإذا ذ لك الفرخ يصيح : يا غياث المستغيثين أغثني! بصوت رخيم جميل مفهوم إذ أن ذلك الطائر يحسن تقليد الأصوات كالببغاء، فشاع خبره فاشترته جارية للخليفة بألف درهم .

فالحياة كلها حركة وعبر وجمال وسعادة لمن قنع وتفاعل معها بقلب كبير ونيّة حسنة وتواضع . فلا يبقى على حاله الا الخالق ، ولقد أحسن صنعاً من مدّ بساط الخير والعون والمساعدة لغيره لما يؤول اليه من نفع وفخر في الدنيا وأجر وثواب في الآخرة ، وكفى المرء من الحياة حسن صنيعه ، ولصديق مخلص خير من ماله كله فهو المرآة المعبرة عنه وأن القرين إلى المقارن ينسب،كما يقرن المحب مع من أحب رمزاً للحب والحنان العظيم .

وأجمل ما في الحب هو الحياء والحشمة والأمانة والعفة ، يروى أن ملكاً أطال السفر عن دياره فأخذت الوحشة من فتاته مأخذها، فأحبت أحد رجاله فتزوجها وعندما أقبل الملك شعر صهره بالألم الشديد لتسرعه وخيانته سيده ، فكان أن انتحر ، فتألّم الملك كثيراً من ذلك ، عاذراً لهما ما حصل فالإنسان من ضعف،وإن خير وسيلة لتقوية ثقته بكينونته هو ما يجده من الغير من حب وتبجيل وتشجيع وعناية ومساعدة ، أمّا المال وحده فليس كفيلاً بالسعادة،وإن كل مال الدنيا لا يساوي لحظة ألم واحدة أو حرمان من تناول لقمة ما يسبب أي مر ض.

٢١/١٢/١٩٩٤

في يوم الشرطة العرب (١)

في الثامن والعشرين من كانون الأول من كل عام يشارك الأردن الدول العربية الشقيقة في يوم الشرطة العرب ، وجدير بنا أن نحيّي هؤلاء الرجال درع الوطن ورمز حمايته وإسعاده ، ففي الأمن حافز نفسي عظيم عجيب للعمل والإبداع والحب والحنان العظيم ، فلا يبدع ولا ينتج من هو غير آمن أو فزع أو خائف

وفي الوقت الذي ابتعدت فيه الضمائر عن الجادة الصواب تبعاً لجريها وراء حضارة الغير الزائفة وضعف تمسكها بمبادىء عقيدتنا وتراثنا العظيمين فإن الجرائم والإنحرافات أخذت تنتشر وتستشري أكثر مما عهد من قبل في هذا البلد الآمن المقدس العظيم بشكل يجعلنا نقدّر مدى قيمة رجل الشرطة بعينه الساهرة وأدائه المتقدم واخلاصه وتفانيه في حفظ الأمن والسهر على راحة كل فرد فيه مهما كان أصله أو فصله أو نحلته أو مذهبه .

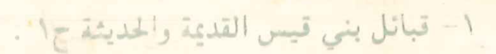
وصحيح أن نسبة الإجرام في بلدنا أقل بكثير مقارنة مع غيره من بلدان العالم ولكننا نسأل الله تعالى أن يبقى كما كان ومنذ الأزل رمزاً للأمن والتضحية والفداء وإيواء الخائف والمضطر والعاني ، فسلاحنا إنساننا الماجد ، وما كان يوماً الدينار أو الدرهم ، يقول أحد الأطباء الحكماء بعد تجربة ودراسة وخبرة طويلة : إن راحة البال واطمئنان النفس وأمنها لا يعدلها شيء بل هي رأس المال كله وكنوز الحياة يردفها الحب والحنان الدافىء وما عدو النفس شيء كالخوف والقلق والجشع والتناحر والتخاصم وعبادة المال والشره والحرص على حشو البطن واقتناص اللذة المحرمة، فأكثر المتخمين يحبون الراحة والدّعة ويكرهون العمل الجاد والتعامل مع الناس بجدّ وصدق ويمضون في اللجاجة والخصام والأنانية وغمط حق الغير، خلافاً للمعتدلين في كل شيء خاصة الطعام واللباس والشراب والإنفاق عامة فهم مرحين جادين متعاونين مع الغير بحسن نيّة وثبات في كل الأحوال ومهما أساء لهم الغير .

ولا يوفر هذا الغطاء للأمة والمجتمع فيفسح لهم مجال التنمية ويفتح لهم أبواب العمل المثمر البنّاء الناجح سوى رجال الأمن الأوفياء معزّزين من الشرفاء قيادة وشعباً ، فهم جميعاً كالجسد الواحد والبنيان المرصوص يشد بعضهم أزر بعض .

(١) استضافني عبر قناة الأمن العام التلفزيونية النقيب نذال عطوة - السيد عديل الشرمان حول هذا المقال .

من مؤلفاته :-





١- قبائل بني قيس القديمة والحديثة ج١ .

٢- قبائل بني قيس القديمة والحديثة ج ٢ .

٣- جذور في التاريخ .

٤- قبائلنا ج ١ .

٥- بلادنا سوق عكاظ أبدية .

٦- بين الحقيقة والخيال ج ١ .

المخطوطات :-

١- قبائلنا ج٢ .

٢- بين الحقيقة والخيال ج ٢ .

٣- مشاهدات .

٤- لقاءات وأفكار عن القبائل العربية .

٥- من تراثنا العربي .

٦- مقارنة بين العامية والفصحى .

٨- إحياء التراث العربي .

٩- قصص تمثيلية إجتماعية .

نبذة عن حياة المؤلف :-

- ولد في قرية اللوبيدة وهي إحدى قرى دورا الخليل .

- يعمل مدرساً .

- عضو إتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين .

الثمن ثلاثة دنانير